الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي
و البحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس
مستغانم
كلية الأدب العربي و الفنون

Ministry of Higher Education
And Scientific Research
University Abdelhamid Ibn Badis
Mostaganem
Faculty of Arabic Literature And Arts

FLAA
Faculty of arabic literature and Art

محضر مناقشة أطروحة الدكتوراه

في عام ألفين وأربعة وعشرين وفي اليوم الثاني والعشرين من شهر أفريل (2024/04/22)
الطالبة: بوظراف وهيبة
المولودة في : 1978/03/10 بمستغانم.
ناقشت علنيا أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ

" الوظائف التداولية للتركيب النحوية في القران الكريم "سورة مريم أنموذجا

شعبة اللغة و الأدب العربي
وبعد المناقشة العلنية والمداولة القانونية منحت الطالبة

درجة دكتوراه ل م د

التقدير: مشرف جدا .....
الملاحظات: .....
.....

أمام لجنة المناقشة المكونة من

الرئيس: السيد: حاج علي عبد القادر	أستاذ	جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
المشرف:السيد: بن عجمية أحمد	أستاذ	جامعة الشلف
الأعضاء: السيد: بن يشو الجيلالي	أستاذ	جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
السيد: لطروش الشارف	أستاذ	جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
السيد: معراجي عمر	أستاذ	جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
السيد: منصوري ميلود	أستاذ	جامعة وهران 1

رئيس القسم

أ.د المكروم سعيد
رئيس قسم اللغة والأدب العربي

نائب العميد

د.بن عزوزي عبد الله
نائب عميد مكلف
بما بعد التدرج والعلاقات الخارجية

الجمهـــورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليـــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
جامعة عبد الحميد بن باديس ـمستغانمـ
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدّراسات اللّغوية

تخصّص :الدّرس النّحوي في ضوء الدّراسات اللّسانية الحديثة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه (ل.م.د) الموسومة بـ:

الوظائف التّداولية للتّراكيب النّحوية في القرآن الكريم سورة مريم ـأنموذجًاـ

إعداد الطالبة:
وهيبة بوظراف

إشراف الأستاذ:
أ.د/ أحمد بن عجمية

أعضاء لجنة المناقشة

-أ.د عبد القادر حاج علي	جامعة مستغانم	رئيسا
أ.د/أحمد بن عجمية	جامعة شلف	ومقررا مشرفا
-أ.د جيلالي بن يشو	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا
-أ.د الشارف لطروش	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا
-أ.د عمر معراجي	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا
-أ.د ميلود منصوري	جامعة وهران1	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:1444-1445هـ/2023-2024

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ
أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ
بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ
(25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ
الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ

سورة إبراهيم

إهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله تتنزل الخيرات والبركات والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فخير نعمة هي إنجاز عملي المتواضع هذا والذي أتقاسم ثوابه مع كل من أحب ، فلكم يا والديا قرة عيني و أختي الغالية مني ثوابه هدية تنير قبوركم و تبعث فيه رحمات ندية رحمات رافقتني طيلة عملي على هذا البحث الذي عطر بآيات كلها رحمة وعطف من الله على عباده ،رحمكم الله و أسكنكم فسيح جناته .

و أهدي ثمرة جهدي إلى كل من علمني حرفا و أنار دربي... إليك معلمي

إلى سندي في هذه الحياة زوجي الذي كان لي نعم المعين حفظه الله ورعاه

إلى إخوتي وأولادهم وبناتهم وكل عائلة بوظراف

إلى كل من كان له الفضل في مساندتي بالدعاء، أو النصائح، أو الدعم النفسي جزاكم الله كل الخير

وهيبة

شكر وتقدير

خير ما يكرم به المرء هو العلم فأحمد الله عز و جل و أشكره على هذه النعمة، فلك الحمد و الشكر و ملك كما ينبغي لجلال وجهك و عظيم سلطانك.

ولا يشكر الله من لا يشكر الناس

أتقدم بجزيل الشكر إلى أساتذتي الكرام بدءً بالأستاذ رئيس المشروع الدكتور **حاج علي عبد القادر** الذي كان له الفضل بعد المولى عز و جل أن نلتحق بهذا المشروع الشريف لنيل شهادة الدكتوراه ،وتعجز الكلمات عن خط عبارات الشكر للأستاذ المشرف الدكتور **بن عجمية أحمد** الذي يسّر لي طريق البحث العلمي و ذلّل الصعوبات لنا ونشكره على صبره و حلمه ، و نسأل الله تعالى له التوفيق والسداد له ولجميع أساتذة جامعة عبد الحميد بن باديس الذين رافقونا طيلة مشوارنا الدراسي كل باسمه فلهم منا جزيل الشكر والعرفان و شكر وتقدير خاص للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين تحملوا عناء تعب مراجعة ومعاينة هذه الأطروحة جزاكم الله خيرا.

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين و به نستعين والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، وعلى آله و صحبه أجمعين ...

ما كان الله ليخاطب قوما إلا بلغتهم وعلى حسب أحوالهم، فأنزل كتابه المبين على أشرف خلق الله الرجل العربي محمد صلى الله عليه وسلم فأكرم هذه اللغة بحفظها وهذا بحفظ القرآن الكريم، وإن الوصول إلى مواطن الجمال اللغوي ظاهره وباطنه في كتاب الله عز وجلّ يحتاج إلى عدّة وعتاد لبلوغ مقاصده و فهم معانيه، ولا يتأتّى ذلك للباحث إلاّ إذا تسلّح بعلوم اللغة نحوها، وصرفها، ودلالتها، وبلاغتها، ولا سبيل لإدراك الإعجاز القرآني إلا بالأخذ بها، وهذه العلوم متّصلة متواصلة شديدة الوثاق فيما بينها، فلا يمكن في عملية البحث عن المعنى والقصد بين ثنايا التّركيب الفصل بين الجانب النحوي والجانب البلاغي، والجانب الدّلالي وحتى الصرفي، والأخذ بها متفرّقة يؤدي بالباحث إلى التّيه والضلال، إلاّ إذا كان لغايات تعليمية تقعيدية كالمنهج الذي اتخذته المدرسة البنيوية في حقل تعليمية اللّغات.

وانطلقت الدّراسات النّحوية والبلاغية منذ القرن الثّاني الهجري لغايات دينية؛ لحفظ القرآن الكريم من لحن العوام، ولتدبّر معانيه، فعكفت نخبة من علماء اللغة لوضع اللّبنة الأولى للدراسات اللغوية العربية، فأسس العلماء العرب والمسلمون دعائم النّحو العربي وهذا لقدرتهم على تجريد المفاهيم، واستنباط الأسس والقواعد، حتى وصلوا إلى التّصنيف والتّبويب.

وباتت مصنّفاتهم المنهل الأصل الذّي ارتوت منه الدّراسات النحوية والبلاغية الحديثة مستعينين بالدّراسات اللّسانية الحديثة لشرح وتذليل الصعوبات ليتمكن المتعلم العربي وغير

العربي من استيعاب قواعد وفنون اللغة العربية فكانت اللسانيات معيناً على اكتشاف وتقصّي بنى الظواهر اللّغوية في نصوص القدماء، فكان التّعويل في بادئ الأمر على اللسانيات البنيوية بشكليها النّظري والتّطبيقي، فقدّمت الأدوات المنهجية التي ساعدت الباحثين اللّسانيين العرب على رصد مواطن الصّعوبات والعوائق التي تعترض سبيل العملية التّواصلية.

وأهم مصدر لعرض الإجراءات ووسائل التّحليل اللغوي إسهامات المدارس اللسانية بدءً بالمدرسة البنيوية مع فاردنالد دي سوسير (Ferdinand de Saussure1857-1913)

والمدرسة الوظيفية على يد أعلامها، أمثال أندري مارتيني (Andre Martinet) والجاكبسون(Jakobson) جورج مونان (Georges Mounin) فالمدرسة التّحويلية التوليدية رائدها تشوميسكي(Chomsky) والذي وضع الحجر الأساس لتحليل للتركيب اللغوي بتحديده للبنية السطحية والبنية العميقة، دون أن ننسى اجتهادات المدرسة السياقية التي درست اللّغة وفق سياقاتها، إلى أن التفّ اللّسانيون حول النظرية التّداولية التي درست اللّغة دراسة وظيفية تواصلية وركّزت على الجانب الاستعمالي للغة واعتنت بعلاقة اللغة بمستعمليها وسياق الاستعمال، والجانب اللفظي وغير اللفظي، وركّزت على مقاصد المتكلّم، من خلال التركيز على مستويات اللغة؛ المستوى النحوي، والمستوى الدلالي

وسياق المقام وبحثت في العلاقة الكامنة بين هذه المستويات وهذا كلّه أجل بلوغ مقاصد المتكلم، كما حاولت تقديم منهجية علمية يستعين بها السامع لفهم معنى كلام المخاطب مستعينة بالحقول المعرفية المتنوّعة التي لها علاقة باللّغة، كالفلسفة، وفلسفة اللّغة العادية

والمنطق، وعلم الاجتماع، وعلم الاجتماع اللّغوي، وعلم النّفس اللّغوي واللّسانيات ...وغيرها من العلوم.

الأمر الذي جعل منها نظرية مطواعة لطبيعة الظاهرة اللّغوية المتمرّدة في كثير من استعمالاتها على قواعدها الثابتة، فوجد الباحث اللساني العربي ملاذه في هذه النّظرية.

لأن أغلب استعمالاتنا للغة العربية في حياتنا اليومية مجازية إلا معاملاتنا الرّسمية والتي لا تتحمل التّوظيف المجازي للّغة، فاهتم اللسانيون العرب بترجمة المصطلح التداولي مع إجراءاته.

وكالعادة لا يوجد اتفاق في الساحة العلمية العربية على ترجمة المصطلحات اللّسانية الغربية، فاختارت الباحثة المصطلح الأكثر شيوعا وهو "التداولية" أو المصطلح المعرّب "البراجماتية"، والتف الباحثون العرب حول إجراءات هذه النظرية لتوظيفها في عمليّات التّحليل اللّغوي و فكّ رموز التّراكيب وتفجير ما عجز التّركيب اللّغوي عن احتوائه، ورفع السّتار عمّا هو خفيّ وجعله جليّ واضح.

وكما سبق وأن ذكرت أن هذه النّظرية كان لها التقاءات وتقاطعات مع حقول معرفية متعدّدة نجم عنها تعدّد في المفاهيم والإجراءات ومنها ما ارتقى إلى مستوى النظرية، ضف إلى ذلك المنشأ الفلسفي لهذه النّظرية فقط ترعرعت على يد مجموعة من فلاسفة اللغة العادية، وخاصة فلاسفة جامعة أوكسفورد.

ومن بين النّظريات المتولّدة عن التّداولية نجد نظرية الأفعال الكلامية التي نظّر لها الفيلسوف البريطاني أوستين (Austin) ثمّ طوّرها تلميذه الفيلسوف الأمريكي سورل(Searle) واشتركا في الطّرح، وهو الاهتمام بالفعل اللّغوي والإنجاز الفعلي للغة، فلا فائدة للكلمة إذا لم تُحدث تغيير في الواقع ولا طائل منها إذا ظلّت حبيسة الذّهن

فأنا عندما أتكلّم أريد أن أغيّر بشرط أن تكون الكلمة ذات فائدة ..هذا لبّ نظرية أفعال الكلام و التي تبحث و تركّز على القوة الإنجازية للفعل اللّغوي والفعل التّأثري له، خاصة في الأسلوبين الإنشائي الأولي، والإنشائي الثانوي.

ويُجمع الباحثون اللّسانيون العرب أنّ تجلّيات هذه النّظرية ظاهرة في مبحث من مباحث علم المعاني؛ وهو باب الخبر والإنشاء أولا و التّراكيب الإسنادية المتنوّعة المجازية والمعاني التي تقدمها هذه الإسنادات التّركيبة المباشرة وغير المباشرة، وحتى هذه النّظرية –نظرية أفعال الكلام– تميّزت بتعدّد مفاهيمها وإجراءاتها، وطبيعة البحث لا تتّسع للإلمام بكل إجراءاتها، لأن كل مفهوم منها يحتاج إلى دراسة مستقلة .

وبما أن نظرية الأفعال الكلامية وسيلة للتحليل اللغوي والوصول إلى الخفي المتستر خلف الألفاظ حاول الكثير من الباحثين العرب المهتمين بتفسير القرآن الكريم تطبيق إجراءات النظرية بأنواعها على سور القرآن الكريم، إما محاولة يبغي منها الباحث مجاراة ومواكبة كل جديد في الساحة العلمية خاصة ما يصدر من النظريات الغربية ! أو محاولة جادة لتحقيق مقاربات بين الرؤى العربية والرؤى الغربية لإيجاد حلول للمعضلات اللغوية، دون الوقوع في

شراك الأفضلية والأسبقية وهذا ما يسعى إليه هذا البحث، مع أخذ الكثير من الحيطة والحذر في اختيار ما هو أنسب للتطبيق على القرآن الكريم، لأنه ليس كل ما قدمته النظرية التداولية من إجراءات التحليل اللغوي يتناسب وكلام الله عز وجلّ .

و**تهدف الدراسة إلى:**

1.تتبّع البعد التّداولي في آيات المدوّنة،(سورة مريم) فأينما رصدتها أشّرت عليها.

2. و إجراء حوار علمي بين التّراث اللّغوي العربّي والبحث اللغوي الغربي في بعض من الظواهر اللّغوية.

3.و محاولة تطبيق إجراءات الفعل اللّغوي المباشر والفعل اللّغوي غير المباشر على بعض من الآيات من الذّكر الحكيم، مستعينة في ذلك بكتب التّفسير.

4. وتحديد القوّة الإنجازية، وفعل التّأثير في بعض من آيات سورة مريم .

5. والكشف عن البعد التداولي لمستويات اللغة (صوتي، صرفي، تركيبي)

فقد سعت الباحثة من خلال هذه الأطروحة الموسومة (بالوظائف التّداولية للتّراكيب النّحوية في القرآن الكريم–سورة مريم أنموذجا–) أن تجري مقاربة لسانية بين الأساليب اللغوية العربية وبين نظرية أفعال الكلام .

إنّنا نحلّل الخطابات ونجتهد في الوصول إلى مقاصد المتكلّم في التواصل اليومي وهذا كله من أجل نجاح عمليّات التّواصل بين البشر في أبسط مستوياتها حتّى ترقى إلى تحليل

النصوص التراثية التي تمدّنا بشتى الأساليب للتعبير وتكشف لنا عن قواعد لغتنا وفهمها فهما جدير باللغة.

لأنّه لا يمكننا أن نفهم العالم دون فهمها، فماذا لو اجتهد الباحث اللّساني العربّي في تحليل وفهم كلام الله المعجز بآياته، كتاب مبين ومنهاج للحياة، فمن تكشّفت له معانيه ومقاصده نال حظاً وفيرا، فالقرآن الكريم ليس كتاب للحفظ فحسب، بل للتّدبر في آياته، لأن بين ألفاظه ومعانيه أسرار العلوم كلّها ، ومنها ما اجتهد علماء التفسير في الوصول إليها ومنها ما يحتاج إلى الكثير من الاجتهاد لكشفه بدليل قوله تعالى:﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[سورة الإسراء:85]

فالنّص القرآني نصّ مفتوح، صالح لكل زمان ومكان متعددّ القراءات، وفي العصر الحديث يستعين الباحث اللّساني العربي بكل آليات التّحليل اللّساني علّها تفتح بابا من أسرار القرآن الكريم، والدّليل استثمار الكثير منهم النّظريات اللسانية المعاصرة إلاّ أن هناك من يعارض هذه المسألة، وتبقى الساحة العلمية لتطبيق هذه النّظريات الحد الفاصل بينهم فيما كانت مفيدة أو غير صالحة لتحليل النّص القرآني.

وأما عن الأسباب الذّاتية التي دفعت الباحثة إلى محاولة استثمار نظرية أفعال الكلام على النّص القرآني، فهي الرغبّة والحبّ في مجاورة كتاب الله عز وجل وملازمته.

وأمّا **عن الأسباب الموضوعية** فهي يقينها من أنّ كتاب الله المقدّس يحوي الكثير من أسرار العلوم، ومحاولة منها في تطبيق إجراءات هذه النّظرية –نظرية أفعال الكلام –على بعض من آيات سورة مريم عليها السّلام .

وأمّا عن أسباب اختيار المدوّنة فوجدتها تزخر بالحوارات وتتنوّع في الأساليب من إنشائية وخبرية ما يناسب أرضية البحث في هذه الرّسالة.

وحاول البحث الإجابة عن إشكاليات الآتية:

– هل يمكن لهذه النّظرية أن توفّق في الكشف عن مضامين النّص القرآني ؟

– وما هي الإجراءات التي من خلالها نفجّر المعنى الخفيّ للتراكيب اللغوية بأنواعها؟

– وهل ترك الأوّل (علماء التراث في الأصول والفقه والنحو والبلاغة) للآخر (الباحث الّساني المعاصر)حظّا في تفسير النّص القرآني؟

وللإجابة عن هذه التّساؤلات قضت طبيعة البحث اعتماد المنهج الوصفي التّحليلي فالوصفي من خلال جمع المعلومات المناسبة للبحث ورصّها وتعريف مفاهيمها، وأمّا التحليلي فلتطبيق إجراءات النظرية المعتمدة في البحث على مدوّنة البحث، للخروج بنتائج مناسبة.

ولا يمكن بناء قاعدة صلبة للبحث العلمي دون الاعتماد والعودة إلى الدراسات التي سبقت لأنه لا بحث علمي من العدم، فالدّراسات السابقة تضفي على البحث العلمي مصداقية علمية وأرضية متينة يرسي عليها الباحث قواعد بحثه بطمأنينة.

فقد كان السّبق لكثير من المختصّين في مجال اللّسانيات في الالتفات والاهتمام بالنّظرية التّداولية أشهرهم :

- طه عبد الرّحمن، اللّسان و الميزان .
- و مسعود صحراوي، (التّداولية عند العلماء العرب.)
- وعيد بلبع ، (التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس)
- و طالب هاشم الطبطبائي، نظرية أفعال الكلام.

أما عن الرسائل العلمية الجامعية فأذكر:

- نور الدّين خيّار، (الخطاب القصصي القرآني –دراسة أسلوبية تداولية، قصة يوسف عليه السّلام نموذجا.)
- و معين رفيق أحمد صالح ،(دراسة أسلوبية في سورة مريم)
- و آمنة لعور، (الأفعال الكلامية في سورة الكهف –دراسة تداولية–)

وأمّا عن بنية البحث فقد رتّبته الباحثة منهجياً لا تاريخياً حسب ما تقتضيه طبيعة وحاجته تشكّل البحث من :

ثلاثة فصول وخاتمة؛

الفصل الأوّل عنوانه : النّظرية التّداولية –النّشأة والتّاريخ–، وعبارة عن جهاز مفاهيمي للنّظرية تألّف من مبحثين:

المبحث الأول عنوانه مفهوم النّظرية التّداولية (تحديد المصطلح)و يتألف من مبحثين:

المبحث الثّاني عنوانه المرجعية الفكرية للنّظرية التّداولية ، وعناصره:

1. روّاد النّظرية التّداولية .
2. الفلسفة التّحليلية .
3. مفهوم الوظائف التّداولية (كما تناولها ليتشG.Leech) الوظيفة كدور وظيفة التّركيب اللغوي أثناء الاستعمال.

والفصل الثّاني: نظرية الأفعال الكلامية، يتألف من مبحثين :

المبحث الأوّل : نظرية الأفعال الكلامية عند الغرب(أوستين، وسورل) أنموذجاً

1. عند أوستين .
2. عند سورل .
3. عند بول غرايس

والمبحث الثّاني: نظرية الأفعال الكلامية عند العرب، و عناصره هي:

1. الجذور المعرفية لنظرية أفعال الكلام في التراث اللغوي العربي(الخبر والإنشاء)
2. نظرية أفعال الكلام وعلم الأصول.
3. التداولية والتراكيب النحوية.

الفصل الثالث عنوانه البعد التّداولي في سورة مريم، وهو الجانب التّطبيقي للدراسة وتفرع إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل : سورة مريم(تعرفها، ترتيبها، أسباب النزول)

المبحث الثاني: الأبعاد التداولية لسورة مريم، و عناصره

1.البعد التداولي للمستوى الصوتي

2.البعد التداولي للمستوى الصرفي

3.البعد التداولي للمستوى الدلالي

والمبحث الثالث: الفعل المباشر وغير المباشر في بعض آيات المدوّنة .

وخاتمة: و فيها جمعنا أهم النتائج التي خرج بها البحث .

وأهم المصادر والمراجع التي اعتمدناها:

-مسعود صحراوي، (التّداولية عند العلماء العرب.)

- و محمود أحمد نحلة، (آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر.)

- وعيد بلبع، (التّداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس).

- وابن هشام النّحوي،(شذور الذّهب في معرفة كلام العرب .)

ولا يخلو البحث علمي من الصّعوبات، فهي نكهة البحث ولازمته، وإنّ من الصعوبات التي واجهتها الباحثة ، ندرة الدّراسات التّطبيقية في النظرية بشكل عام، وعلى النّص القرآني بشكل خاص، فكانت هذه الدّراسات لا تعدوا رصد وتتبع البعد التداولي في النّصوص المختارة للتحليل أو وضع مقاربات بينها وبين التّراث القديم .

والذي نحسبه جديدا أو حديث الولادة على الدراسات اللسانية في مجال التداولية هو ما أوردناه في الفصل الثالث وهو البعد التداولي للمستوى الصوتي والبعد التداولي للمستوى الصرفي فالدراسات نادرة جدا فلم أجد دراسة تناولت البعدين من وجه نظر تداولية وبالأخص الفعل

الكلامي والقوة الإنجازية للصوت أي الحرف العربي في القرآن الكريم ودلالات توظيفه، أما البعد التداولي للصيغة الصرفية ودلالات تغيراتها حسب مقامات توظيفها صادفنا دراسة واحدة ووحيدة بعنوان "الصرف العربي رؤى تداولية "لصاحبه سيف الدين طه الفقراء، والذي نُشر سنة 2022/01/01، ولم تستطع الباحثة الحصول عليه ماعدا فهرست الكتاب، ويبقى جهد الحصول على الكتاب متواصلا إلى حين اللاطلاع عليه والاستفادة منه إن شاء الله.

ومن مكارم الأخلاق شكر الله تعالى على نعمه، وإني أشكر الله تعالى على نعمه كلها وأجلها نعمة وأرفعها قدرا العلم والصحة والعافية وأنه عز وجل سخر لعباده في الأرض من يأخذ بيدهم ويساعدهم في حياتهم، فالشكر الكثير للأستاذ الدكتور أحمد بن عجمية الذي لم يبخل على طالبته بمدّ يد العون والصبر عليها وهذا من شيمه الطيبة حفظه الله وزاده علما ورفع قدره في الدارين، وجحودا منا لو نسينا فضل كل معلم شق بنا دياجير الظلام وجعلنا نقرأ ونكتب ونكتسب المعارف ونواكب عجلة طلب العلم من مرحلة التعليم الابتدائي إلى مرحلة التعليم الجامعي كنتم خير أناس ونحفظ لكم الجميل ما حيينا ولكم كل الشكر والتقدير، وما يزيد الطالبة فخراً واعتزازاً كون هذه الأطروحة ستجد الرعاية من أساتذتي الكرام أعضاء لجنة المناقشة.

وأمري كله خير بإذن الله، كيف لا وعملي المتواضع سيجد الحظ الوافر من القراءة والتمحيص والتحقيق والتقييم ثم التقويم من الأساتذة الأفاضل تشهد لهم الساحة العلمية بالكفاءة والخبرة ،أي حظ هذا الذي ربما لن يتكرر في مسيرة البحث العلمي للباحث، فتصويباتهم خيوط

من نور أصحح بها أخطائي، أماّ الثناء فلؤلؤ يرصع هذه الأطروحة، فرصد الخطأ مع تصويبه وتعزيز النقاط الإجابية مرحلتان مهمتان في أي بحث علمي، وأرجو من الله عز وجل أن تكون هذه الرّسالة العلمية مرجع علمي للطلبة والمهتمين بهذا المجال، ونسأله تعالى التوفيق والسداد.

والسلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته...

الطالبة: وهيبة بوظراف

مستغانم في02/07/2023

الفصل الأول: النّظريــة التّداوليــة

المبحث الأول: مفهوم التّداولية

المبحث الثاني : المرجعية الفكرية للنظرية التّداولية

المبحث الأول: مفهوم التّداولية

تعني لفظة "Pragma" في الإغريقية: "فعالية "أو"عملا"، أو "مسألة"، أي تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التّحديد الضمني للسياق الذي تؤل فيه الجملة ومن الباحثين من عرّفها "أقوال تتحوّل إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية بمجرّد التّلفظ بها"[1]، وهذا التعريف يحيل إلى نظرية أفعال الكلام.

إنّ مصطلح التّداولية ترجمة للمصطلحين: الإنجليزي pragmatics ، والمصطلح الفرنسي la pragmatique، وكلاهما يعني المذهب اللغوي التواصلي الجديد، وليس ترجمة لمصطلح le pragmatismeويعني: " الفلسفة النّفعية الذّرائعية " [2].

وتترجم أيضا بعدّة كلمات باللغة العربية، منها: الوظيفية، والاستعمالية، والتّخاطبية، والتّبادلية، والنفعية ...إلخ، ويرى الباحثون المتخصصون في مجال التداولية أن أفضل مصطلح هو "التّداولية"؛ لأنه مصطلح شائع بين الدّارسين في ميدان اللغة واللّسانيات، ولأنّه يحيل على التّفاعل والحوار، والتّخاطب، والتّواصل، والتّداول[3].

وبما أن روّاد التداولية في الأصل هم روّاد الفلسفة التّحليلية، فإن الدّراسات تشير إلى أن التّداولية هي وليدة الفلسفة الذّرائعية، وهناك أبعاد تجمع بينهما في الغاية والمقاصد الفعلية،

---

[1]– بشرى البستاني، التّداولية في البحث اللغوي والنّقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1 ،2012 ، ص ص 31–32.

[2]– ينظر: مسعود صحراوي، التّداولية عند العلماء العرب –دراسة تداولية في ظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي–، دار الطّليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 2005، ص ص 15–16.

[3]–جميل حمداوي، التّداوليات بين النّظرية والتّطبيق، دار الريف للطبع والنشر، المملكة المغربية، ط 1، 2019، ص 7.

فلا يمكن أن تنفصل التّداولية معرفيا وفكريا عن الذّرائعية، كما لا يمكن معرفيا تناولهما في سياق مفاهيمي واحد، فالفكرة في الفلسفة الذّرائعية مشروع للعمل و ليست حقيقة إلى حين استعمالها وقصدها وصدقها مرهون بمدى تحقيقها لأعمال في الواقع فهي ذريعة من الذّرائع لبلوغ غايات جديدة و فعّالة في الواقع[1].

ولعل هذه هي نقطة التقاء بين التداولية والذّرائعية؛ لأن التّداولية تتجاوز تفسير اللّغة ذاتها إلى تفسيرها حال استعمالها في الواقع العملي، وبهذا تعد التّداولية حقلا لسانيا من منطلقات فلسفية لعنايتها بالظاهرة اللغوية[2].

ويعدّ شارلز موريس (Charles-Morris-1901-1938) أوّل من وضع حدّا للتداولية في قوله :"التّداولية جزء من السّيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعمليها" يعد هذا التّعريف من أقدم التّعاريف للتّداولية .

– وعرّف ماري دبير :(Marie-Dillre)، وفرانسوا ريكاناتي(FraçoisRécanati): "التّداولية هي دراسة استعمال اللّغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية".

– فرانسيس جاك (Francis Jacques):"تتطرّق التّداولية إلى اللّغة، كظاهرة خطابية ، وتواصلية، واجتماعية معا"[3]

---

[1]– ينظر :محمد سالم سعد الله، النّقد التداولي من الحدث اللغوي إلى التواصل التقني، مجلة ديالي، الموصل، العدد الثامن والخمسون، 2013 ،ص ص 687–688 ، تم الاسترجاع من الموقع :alfarahedy.blogspot.com

[2]–ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[3] – فرانسواز أرمينكو،المقاربة التّداولية، تر: سعيد علوش، مكتبة الأسد، د ط ، 1986، ص 4

وهنا يلخص هذا التعريف مبادئ التداولية التي لا تدرس اللغة باعتبارها تراكيب منفصلة عن سياقاتها كما تدرسها بعض الاتجاهات النحوية، أو الدلالية أو كما درستها البنيوية، بل تركز على الخطاب واللغة أثناء الاستعمال بين متكلّميها .

أما اللغة كظاهرة تواصلية فهي تنطلق من نية المتكلم وأغراضه النفسية كالطلب والأمر والاعتذار ...

أما كظاهرة اجتماعية فاللغة تخضع إلى تقاليد اجتماعية فهي تتأثر بالمقام الاجتماعي للمتكلمين كالسن والمستوى العلمي والجنس وغيرها فهذه المعايير ان صح التعبير تتحكم في خطاباتنا ماذا نقول ولمن سنقوله وكيف سنقوله..

فهذا التعريف يبين أن التّداولية تدرس اللغة من زوايا متعدّدة وتركز على الخطاب الوظيفة التفاعلية في عملية التواصل والسياق الاجتماعي.

– رودولف كارنبRudolf carnap :"التّداولية درس جديد وغزير، إلا أنّه لا يملك حدودا واضحة، ويقع في مفترق طرق الأبحاث الفلسفية واللسانية، إنه غير مألوف حاليا "[1].

هذا التعريف يحيلنا إلى ما سبق ذكره أن التداولية ذات أصول فلسفية من الذّرائعية إلى فلسفة اللغة العادية التي اهتمت بالقصد والمعنى الضمني، وتتقاطع مع اللسانيات الحديثة التي أكدت أنه لا يمكن دراسة اللغة إلا ضمن سياقات استعمالاتها.

[1]–المرجع السابق ، ص7.

ويعد المفكر العربي طه عبد الرّحمان من المفكرين العرب الأوائل الذين اعتنوا بالمنهج التّداولي، حيث حاول التعريف بهذا المنهج وتطبيقه في مجال علم اللغة، وعلم الأصول، والثّقافة العربية الإسلامية، وقد عرّفه في كتابه "تجديد المنهج في تقويم التّراث".

"من المعروف أن الفعل "دول" في قولنا تداول النّاس كذا بينهم، يفيد معنى تناقله الناس وأداروه فيما بينهم.

ومن المعروف أنّ مفهوم " النّقل" ومفهوم " الدّوران" مستعملان في نطاق اللّغة الملفوظة.

يقال "نقل الشيء عن موضعه أي حرّكه منه، ويقال "دار على الألسن "بمعنى جرى عليها؛ فالنّقل والدّوران يدلاّن في استخدامهما اللّغوي النقلة بين النّاطقين، أو قل "التّواصل "ويدلاّن في استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين، أو على معنى "التّفاعل"، فيكون التّداول جامعا بين: التّواصل والتّفاعل، فمقتضى التّداول أن يكون القول موصولا بالفعل"[1].

وفي لسان العرب مادة "دَوَلَ" :"يقال كانت لنا عليهم الدَّولَةُ، والجمع الدُّوَلُ والدُّولَةُ بالضم، في المال؛ يقال : صار الفيء دُولةً بينهم يتداولونه مرّة لهذا و مرّة لهذا" "و الدَّوْلَةُ الفعل والانتقال من حال إلى حال ."[2]

"و في حديث الدعاء : "حَدّثنِي بحديث سَمِعْتَهُ من رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يَتَدَاوَلْهُ بينك و بينه الرّجال ، أي لم يتناقلْه الرّجال "

[1]– طه عبد الرّحمن ، تجديد المنهج في تقويم التّراث، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، ط 2، د س، ص 244.

[2]– ابن منظور ، لسان العرب ،تح عبد الله علي الكبير ، ج 2 ،دار المعارف ، القاهرة ، ص1455

"ويقال تداولنا العمل و الأمر بيننا بمعنى تعاورناه ، فيعمل هذا مرة و هذا مرة "[1]

والملاحظ من خلال هذه الحدود اللغوية أنها تارة تدل على التبادل و التّشارك والتفاعل بين شخصين أو أكثر ، و هذا من خاصية اللغة أيضا ، و تارة أخرى الانتقال من حال إلى حال وهذا إذا ما أسقطناه على اللغة أثناء الاستعمال نجد لها خاصية الانتقال والتحول من معجمها اللغوي موطنها الأصلي ، إلى الواقع الاستعمالي الذي يفرض عليها سلسلة من التغيرات الدلالية التي تستدعيها سياقات الاستعمال المتعدّدة .

إنّ الملاحظ من هذا التّعريف أنّ المفكر طه عبد الرحمن استنبط حدّ للمنهج التداولي من خلال تحليل ألفاظ التعريف في حد ذاته ليتوصل إلى التعريف العام والمهم للمنهج التّداولي الذي له علاقة بالاستعمال اللغوي، وربما هذا راجع لصعوبة تحديد هذا المفهوم لوقوعه في وسط مفترق العلوم التي لها علاقة باللغة، كالفلسفة، واللسانيات، وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم.

فالباحثون في مجال التداولية اتفقوا في تعريفاتهم على تعريف دراسة اللغة أثناء الاستعمال، لكن يبقى الاختلاف في ترجمة المصطلح واضحا بين الباحثين العرب.

وإنّ ما يجمع هذه الحدود هو عامل الاستعمال اللّغوي مع مراعاة الجانب الاجتماعي، فهي علم جديد للتواصل كما اصطلح عليها بعض الباحثين في هذا المجال، يدرس الظّواهر

[1] –المصدر السابق ، ص 1456.

اللّغوية في مجال الاستعمال، انطلاقا من مستويات متداخلة كالبنية اللّغوية، وقواعد التّخاطب، والعمليّات الذهنية المتحكّمة في الإنتاج والفهم اللغويين.

و التّداولية كما أجمع الباحثون اللّسانيون تمثل حلقة وصل بين حقول معرفية عديدة؛ منها: الفلسفة التّحليلية، وعلم النّفس المعرفي، وعلوم التّواصل، واللّسانيات، فهي بهذه الحالة تبحث عن القوانين الكلّية للاستعمال اللّغوي، فأصبحت جديرة بأن تسمى "**علم الاستعمال اللّغوي** "[1].

ويرى بعض من اللسانيين أن دراسة الجانب الوظيفي للغة يخفف منها أو يفتر التحليل العلمي المنضبط وتصبح مسألة الإدراك مرهونة بكفاءة مستخدمي اللغة، لأن المقاصد والغايات لا يمكن إخضاعها لقانون لغوي، وبات المنهج العلمي المعتمد في التحليلي اللغوي عاجزا على احتواء الظاهرة اللغوية، خاصة أن استعمال اللغة يراعي شروط التواصل المتعارف عليها؛ من أحوال المتكلّمين ومقاصدهم، وكل الظروف والملابسات المحيطة بعملية التواصل وإنشاء الخطاب.[2]

ولكل لغة شروطها و قواعدها التي يدركها متداولوها و يعرفون مضامينها وسرّها وجمالية أسلوبها.

[1]–ينظر: مسعود صحراوي، التّداولية عند العلماء العرب –دراسة تداولية في ظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي–، ص ص.16. 17

[2]– ينظر : عيد بلبع، القرآن الكريم والتّطبيق التّداولي، مجلة سياقات، العدد السابع، ديسمبر 2017، ص ص17–18.

وأصبح من الضروري في عملية البحث عن معاني الكلمات ومقاصد المتكلّمين الظاهرة والمضمرة النظر في الظروف التي نشأ فيها الخطاب أوّلا والتي استعمل فيها ثانيا فالتداولية وخاصة نظرية أفعال الكلام تبحث عن مقاصد وغايات مستعملي الخطاب.

إنّها تهتم باللغة حين استعمالها وتفجر طاقتها الكامنة بين بنيتها، وترفض الانغلاق على النظام الداخلي لها، تهتم بكل العناصر الفعالة في العملية التواصلية من كفاءات لغوية وسياق، ومتكلم وسامع .

- فالتّداولية تدرس الجانب الوظيفي والسّياقي في النّص والخطاب، مع التّركيز على البعد الحجاجي، والإقناعي، وأفعال الكلام داخل النّص، كما أنّها تهتم بالنّص والإحالة التي تمّ إقصاؤها عند البنيويين فهي تركّز على المقصدية الوظيفية .

- والجدير بالذكر أن المهتمين بمجال التداولية يقرّون بوجود تداوليات متعدّدة؛

-تداولية البلاغيين الجدد.

-تداولية السيكو-سوسيو-لوجيين.

- تداولية اللّسانيين .

- تداولية المناطقة والفلاسفة.

وتكمن أهمية التّداولية في كونها تحيط بمختلف الأسئلة و الإشكالات الجوهرية في النّص الأدبي المعاصر، لأنها تحاول الإجابة عن العديد من الأسئلة، مثل:

- من يتكلّم ؟ وإلى من يتكلّم ؟

- ماذا نقول بالضبط حين نتكلّم ؟
- ما هو مصدر التشويش والإيضاح ؟
- كيف نتكلّم بشيء ونريد آخر ؟

فالإجابة عن هذه الأسئلة تستدعي استحضار مقاصد أعضاء الحوار، وسياقه، والبعد التّداولي لهدف اللّغة المستعملة، لذلك وجد مفهوم الفعل، ومفهوم السّياق، ومفهوم الإنجاز في التّداولية كمقاييس ومؤشّرات على اتجاهات النّص الأدبي في النّظرية النّقدية.[1]

كل هذه المفاهيم تجرنا جرا إلى أن تحليل اللغة و فهم مقاصد المتكلم يستدعي تحليل عناصر غير لغوية كالسياق والظروف التي ينتج فيها الخطاب، وضف إلى ذلك قدرة العقل البشري على اكتساب معرف جديدة و اختراق قواعد اللغة في التعبير.

[1]– ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التّداولية، تر: سعيد علوش، ص 03.

المبحث الثاني :المرجعية الفكرية للنظرية التّداولية

يتّفق اللّسانيون على أنّ الوظيفة الأساسية للّغة هي التّواصل بين أفراد المجتمع شريطة أن يتشارك هؤلاء في لغة التّواصل لتتم عملية الفهم أو التبليغ، وحتى الإقناع فالتّأثير، لهذا كانت اللغة ولا تزال الظاهرة الإنسانية المهمة التي شغلت الباحثين في مجال البحث اللساني، فكان الاهتمام الأول مُنصباً على الدّراسات التاريخية للغة، والدّراسات المقارنة.

وقد أدرك الباحثون في هذا المجال ضرورة إيجاد مناهج علمية دقيقة لدراسة ظاهرة اللّغة، وهذا لغايات علمية وتعليمية، ونتاج هذا الإدراك تأسيس مدارس لسانية؛ كالبنيوية، والتحويلية التوليدية، والسياقية والتداولية، ومناهج البحث العلمي؛ كالمنهج التاريخي، والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، والمنهج التداولي.

وأجمع علماء اللّسانيات أن دراسة اللغة اتّخذت شكلها العلمي الدقيق الممنهج على يد عالم اللّسانيات الفرنسي فاردناد دو سوسير(Ferdinand. de Saussure-1857-1913) والموضوع الأكثر جدلا في الدّراسات اللّغوية الحديثة هو ذلك الجانب غير اللّغوي لهذه الظّاهرة، والّذي لا يخضع لمعايير بعينها في كثير من الأحيان ،لأنه يتجاوز البنية الشّكلية للغة .

وقد أدّى التّداخل والتّكامل بين الحقول المعرفية (علم النّفس،وعلم الاجتماع والفلسفة، والمنطق، والسيميائيات...إلخ)إلى انقسام الدّرس اللّساني خلال النّصف الثّاني من القرن العشرين إلى اتجاهين:

الاتجاه الشّكلي / الصّوري ويهتم بالجانب الصوري والعقلي للغة، والاتجاه الوظيفي التّواصلي والذي يضع في الحسبان الجانب الاجتماعي فيراعي المقام والظروف والملابسات التي تنتج فيها اللغة، أما عن الاتجاه الأول فمثّلته المدرسة البنيوية والمدرسة التحويلية التوليدية.

والاتجاه الثاني فمثلته المدرسة السّياقية والوظيفية والمنهج التّداولي الذي انبثق من الفلسفة التّحليلية والفلسفة الذّرائعية، وخاصة فلسفة اللغة، والتي اهتمت بهذه الظّاهرة منذ القديم.[1]

ولعلّ أشهر الأسئلة المتداولة في هذا المجال و المهمة، هل دائما يفهم المخاطَب غايات ومقاصد المتكلّم ؟ نطرح دائما هذا السؤال لأنّ كل المهتمّين بمجال اللّسانيات يدركون أن عملية فهم المعنى يتجاوز معرفة الدّلالة المعجمية للكلمة، وإنشاء العبارة في الواقع لشروط ومعايير وهي الظروف والملابسات المحيطة بالعملية التّواصلية.

وأولى البلاغيون العرب اهتماما بالغا بالمقام وأحوال المخاطَب والزّمان والمكان

فالكلمة تبقى مبهمة إلى حين إلقائها في سياقها المناسب، تؤول في وسطه، ويتغيّر معناها بتغير السّياق الواردة فيه، إنّه لخير دليل على أن اللغة تفهم و تؤول لحظة استعمالها وهذا ما تبحث فيه التّداولية.

[1] – ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، التّداوليات–علم استعمال اللغة–، عالمالكتب الحديث، ط 1، 2011 ،إربد ، ص1.

1. روّاد النّظرية التّداولية :

هذه النّظرية التي نشأت في رحم الفلسفة التّحليلية، إذ كان الفلاسفة يفكّرون في الصّلات القائمة بين اللغة و المنطق من جهة، وآثار الخطاب في السّامع من جهة أخرى .

وعكفوا على النّظر في التّأثيرات الفعلية للخطاب، حيث وضع أوستين (1911-1961 J.B.Autin) أستاذ الفلسفة بجامعة أكسفورد وتلميذه سورل (J.R.Searle1932) نواة التّداولية في حقل فلسفة اللغة العادية وطوّروا من وجهة نظر المنطق التّحليلي مفهوم" العمل اللّغوي " (acte de langage)،فاهتمام الفلسفة باللغة قديم العهد ،منذ أفلاطون وأرسطو، وصولا إلى سيناك(Sénéque) ،وشيشرون(Cicéron)، وكونتليان(Quintilien) الّذين طوّروا بدورهم منوالا كلاسيكيا للبلاغة، يقوم على معرفة الانفعالات و الطّبائع [1].

لهذا يرى الكثير من الباحثين في مجال التّداولية، أن هذه الأخيرة هي البلاغة الجديدة في العصر الحديث، حتى أن بعضهم ترجم مفهوم التّداولية بالبلاغة الجديدة.

وإذا ما أردنا تتبّع المرجعيّة الفكرية للتّداولية علينا العودة إلى دراسات شارلز موريس (Charles-Morris-1901-1938) الّذي طوّر دراسات بيرس (Pierce-1839-1914) رائد السيميوطيقا ومؤسس الواقعية الفلسفية (البراغماتية الفلسفية) وتسمى الذّرائعية ومؤسس المنطق الرّياضي أو الرّمزي، صاحب التّقسيمات الثّلاثية للعلامة اللّسانية ؛

المؤول: الوسيلة و ما يسميه دي سوسير الدّال.

[1]–ينظر : فليب بلانشيه، التداولية ما أوستين إلى غوفمان، تر صابر حباشة، دار الحوار، سورية، ط1، 2007، ص20.

الموضوع: وهو الشّيء الخارجي أو المرجع ، أو الدّليل كما اصطلح عليه الجيلالي دلاش في كتابه "مدخل إلى اللّسانيات التّداولية ".

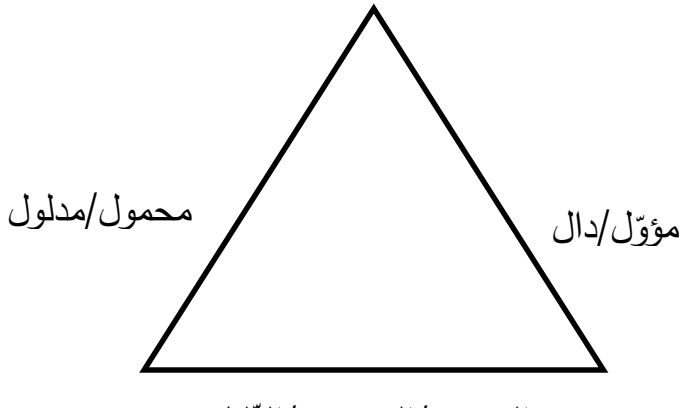

االشّكل رقم 01

ونجده يقسم المرجع إلى ثلاثة أنواع :

- **الرّمز** (symbole):ويمتاز بعلاقته الاعتباطية التي تربطه بموضوعه، فمثلا لكل لغة أصوات خاصة بها.

- **الأيقونة** (icône): النّمط التّصويري؛ حيث يكون المرجع والعلامة متشابهان مثال على ذلك الصوت المحاكي للطبيعة ، نحو صوت خرير المياه ، فحركة المياه في النهر أو الجداول تصدر صوتا يشبه صوت الخاء ، أو زقزقة العصافير.

- **المؤشّر** (indice): أو الأمارة كما اصطلح عليها الجيلالي دلاّش : فإنها تندرج في علاقة العلّة بالمعلول.

حيث يكون هناك رابط بين المرجع و العلامة كعلاقة السّببية مثل ارتباط الدّخان بالنّار.

والسيميوطيقا بالنسبة له بحث رمزي موسّع، فهي تدرس الدّلائل اللّسانية وغير اللّسانية، وقد أكّد بيرس أنّه لم يكن بوسعه دراسة أي شيء أو أي علم إلاّ بوصفه دراسة سيميوطيقية، فهذه الأخيرة ذات وظيفة فلسفية و منطقية ومن سيمات الفلسفة الاستمرارية [1]

والواقعية، والتّداولية، فسيميوطيقا بيرس اجتماعية وجدلية فهي سيميوطيقا الدّلالة والتواصل، وتعتمد على أبعاد منهجية ثلاثة هي :البعد التّركيبي، والبعد الدّلالي،والبعد التّداولي، ومن خلال هذا يمكن القول أن سيميوطيقا بيرس صالحة لتطبيقها في المقاربة النّصية والخطابية، وتوظيف أبعادها التحليلية الثلاثة (البعد التّركيبي،والبعد الدلالي، والبعد التداولي) وحتى المفاهيم الدّلائلية الأخرى (الأيقونة،والرّمز، والإشارة)

فبيرس يعطي أهمية بالغة للاستعمال الفردي للدليل، فالعالم بالنّسبة إليه يتم إدراكه بواسطة التّفاعل ما بين الذّوات، وتوجد صيغة لسانية تلخص فكره: "لكي نبلور فكرة ما، يجب علينا بكلّ بساطة تحديد العادات الّتي توّلد هذه الأدلّة، ذلك أنّ دلالة شيء ما إنّما تتمثل ببساطة في العادات الّتي تتولّد عنها .

[1] – ينظر: الجيلالي دلاّش، مدخل إلى اللّسانيات التّداولية، تر محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، دت، دط، صص 8-10-17.

إنّ السّمة المميّزة للعادة إنما تكمن في الكيفية التي تحملنا على العمل، لا في الظّروف المحتملة فحسب، بل كذلك في الظروف الممكنة الحصول، بل حتى في تلك التي يتعذّر تصوّرها ".[1]

وقد طوّر بعده شارل موريس(ch-Morris-1938-1901)؛ الأبعاد الثلاث فالبعد الدلالي يدرس كلام الباث ويحلله، والبعد التركيبي يدرس العلاقات بين التّعابير، والبعد التّداولي يدرس الذّات المتكلّمة [2].

فقد أعاد شارل موريسch-Morris تطويرها بكيفية نظامية كبرى، فسيميائيات موريس هي امتداد سيميوطيقا بيرس، ويعتبر موريس رائد التّداولية وله الفضل في تبسيط الكثير من مفاهيم بيرس وتطوير مفهوم السيميوزيس (sémiosis) ويقصد به السيرورة التي تحتوي في نظره على أربعة عناصر هي :

1- النّاقل (حامل العلامة)؛ يقوم مقام الدّليل .

2- المدلول عليه ؛ ما يحيل الدّليل إليه.

3- الأثر؛ ما يترك في نفس المرسل إليه.

4- المؤول ؛ وهو الدّال.

[1]-ينظر :جميل حمداوي، الاتجاهات السيميوطيقية(التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، ط 1، 2015 ، مكتبة المثقف، سيدني، ص ص 16-19.

[2]-ينظر المرجع نفسه، ص17.

- **فالسيميوزيس:** هو العلامة حين اشتغالها، ولها ثلاثة أبعاد؛ البعد التركيبي (الأدلة) والبعد الدّلالي (المدلول)، والبعد التداولي (المؤولون /المستخدمون)[1]

نلاحظ أنه لا يبتعد كثيرا عن تصور بيرس، إلا أن الاختلاف يكمن في اهتمام موريس بالجانب السلوكي فهو ينظر إلى بنية اللغة على أنها نظام من السّلوك؛ فوظيفة الدّلالة تهيئ المرسل إليه إلى ردّ فعل ما .

ومثال على ذلك جملة "هناك حيوان مفترس أمام المنزل" تجعل المتلقي يأخذ حذره دون توجيه فعل الأمر له نحو "احذر"أو خذ الحيطة و الحذر ..

من خلال ما تم عرضه، يمكن القول أن بذور مصطلح التّداولية ظهرت عند كل من بيرس وبعده موريس، فكلاهما ممثل للفلسفة الذّرائعية الأمريكية (pragmatisme).

ومن بين فلاسفة اللغة الذين آمنوا بأن الكلمة لا قيمة لها و لا تأويل لها بمعزل عن السياق الواردة فيه نذكر فيتجنشتاين 1889-1951(wittgenstein) قبيل الحرب العالمية الثانية عزم روّاد التجريبية المنطقية كل من فريج Freg و، وكارناب (carnap)، وفيتجنشتاين (wittgenstein) على إعادة بناء لغة صورية قادرة على وصف العالم وتأويله، ويعتبر هؤلاء أنصار الفلسفة التحليلية .

[1]- ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التّداولية، ص8.

فقد صرّح هؤلاء أن القول خارج السّياق لا اعتبار له لأن السياق يوفّر دلالة أخرى، وعلى رأسهم. فيتجنشتاين، الذي اهتم بفلسفة اللغة الطبيعية[1].

ومن المعروف أن مفهوم الفلسفة عنده هو توضيح الأفكار عن طريق تحليل العبارات التي تصاغ فيها هذه الأفكار، فهو يؤكد في الرسالة الفلسفية المنطقية: "إن موضوع الفلسفة هو التوضيح المنطقي للأفكار. فالفلسفة ليست نظرية من النظريات، بل هي فاعلية.

ولذا يتكون العمل الفلسفي أساسا من توضيحات"؛ معنى ذلك أن التحليل عنده لا يضيف إلى معرفتنا جديد، بل هو مجرد طريقة توضح ما نقوله لكي نتبين ما له معنى من كلامنا وما لا معنى له، وأن نتكلم بالتالي كلاما له معنى وهو صاحب القول "إنّ منطق لغتنا يساء فهمه".

فهو يهدف من وراء تحليل اللغة إلى معرفة الحدود التي يجب أن تستخدم فيها بطريقة ذات معنى، وإلا كانت لغتنا مجرد لغو لا معنى له[2] .

وتعتمد فلسفته في تحليل اللغة على ثلاثة مفاهيم أساسية هي: الدّلالة، القاعدة، ألعاب اللغة؛

– إنه يفرّق بين الجملة والقول؛ فالجملة لها معنى مقدّر والقول –الكلام–له معنى محصل،

[1]– المرجع السابق، ص ص08–10.

[2]– ينظر: ينظر: أحمد عبد الحليم عطيّة الفلسفة التحليلية –ماهيتها ، مصادرها ،و مفكروها ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية،ط1، بيروت لبنان، 2019، ص ص 17.16.

– إن وجه القاعدة الاجتماعي يستند إلى التواضع والاصطلاح؛ أي الامتثال إلى القاعدة النّحوية[1].

– إن هذه القواعد صالحة لعدد من الأحوال والمتكلّمين، إذ تسمح بتنويع النشاط اللّغوي،

– إن اللعبة اللغوية تتطور بتطور النشاطات الاجتماعية، ولا توجد طريقة واحدة لاستخدام جملة ما بل عدة طرق، فاللعبة اللغوية تعني في نظر الفيلسوف الممارسة اللغوية وشكلا من أشكال الحياة، ومن هذا يعدّ فيتيجنشتاين من الفلاسفة الأوائل الذين نظروا في الجانب الاستعمالي للغة[2].

ومن الفلاسفة الذين أثروا الدّرس التّداولي الحديث، أوستين (J.B.Autin+ 1911-1961) وتلميذه سورل(J.R.Searle +1932) حيث وضعا نواة التداولية؛ إذ طورا من وجهة نظر المنطق التحليليّ مفهوم "**العمل اللّغوي**".

وقد عكف الفلاسفة على النّظر في التأثيرات الفعلية للخطاب منذ الستينيات من القرن العشرين، حيث كان أوستين أول من بعث نظرية الأعمال اللّغوية، وكانت الفلسفة تهتم باللغة منذ القديم كما سبق و أن ذكرت أن بذور التداولية ظهرت مع الفلسفة التحليلية، وخاصة فلسفة اللغة الطبيعية أو العادية مع الفيلسوف فريجة[3] .

---

[1]–ينظر: الجيلالي دلّاش، مدخل إلى اللّسانيات التّداولية، تر محمد يحياتن، ص18.

[2] – ينظر المرجع نفسه ، ص 17.

[3]– ينظر : فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر حباشة ، دار الحوار للنشر و التّوزيع ، سوريا ،ط 1 ،2007 ، ص 20.

وأما عن تصور كل من أوستين وتلميذه سورل فقد خصّصت لنظرتهما جزء من هذا البحث، لأن نظرية أفعال الكلام هي المعوّل عليها في هذه الرسالة، وهو جزءمن النّظرية التّداولية.

إنه صراع قائم منذ الأزل بين النظريات المهتمة بظاهرة اللغة؛ دراسات شلت جهود اللغة في قوالب صرفة وأخرى اطلقت العنان للعقل البشري، فإنّنا نجد العلوم المعرفية (علم النفس، واللسانيات، وفلسفة العقل، والذّكاء الاصطناعي، وعلوم الأعصاب ...وغيرها) تقف بالمرصاد لروّاد التّيار السلوكي الذي أسّس دراساته اللغوية– خاصة في مجال تعلم اللغة –على عبارة مثير/استجابة، والتي ترفض التّسليم بوجود أشياء غير قابلة للملاحظة.

كالحالات الذهنية التي هي البؤرة الأساسية في عملية التّحليل اللّغوي التي تعتمد عليها النّظرية التّداولية والعلوم المعرفية، فقد أسهمت التّداولية في برنامج البحث الذي حدّدته العلوم المعرفية؛ الذي مفاده توضيح اشتغال العقل/الدماغ وبيان كيف أنّ العقل البشري يكتسب معارف ويطوّرها و يستعملها اعتمادا على الحالة الذّهنية .[1]

إن إخضاع اللغة للتشريح والتحليل كان ضروريا لإرساء قواعدها، وقد اهتمت اللسانيات البنيوية بالجانب الشكلي للغة وحدّدت مستويات اللغة؛ المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدّلالي، والمستوى المعجمي، وهذا لغايات تعليمية محضة ولاكتساب الملكة اللغوية وتّمكن المتعلم أو المتكلم من الإحاطة بالكفايات اللّغوية ، وكل هذه الجهود باتت قاصرة عن

[1]–ينظر: آن روبول، جاك موشلار، التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل ، تر: سيف الدين دعفوس، محمد الشيباني ،دار الطّليعة للطباعة والنّشر، لبنان، ط1، 2003، ص27–28.

تحديد المعنى والقصد رغم أنها تعتبر الحجر الأساس الذي لا يمكن الاستغناء عنه في عملية التحليل اللغوي والوصول إلى غايات ومقاصد المتكلم.

لأن التركيب في حد ذاته يخضع قبل عملية إنتاجه في الواقع إلى ظروف وملابسات خارجة عن نطاق اللغة ذاتها، وقد أدرك البلاغيون العرب أهمية هذه المسألة ما ظهر جليا في نظرية النظم التي أولت اهتماما بالغا للمقام وقبلها الجاحظ وغيرها من علماء التراث العربي، والنظريات السياقية الغربية .

فظهور التّوجهات المنطقية الجديدة أثبت قصور المنطق الصّوري في صيغته الحديثة والقديمة وهذا كونه أداة مفيدة في وصف وتفسير الظاهرة التّدليلية وفي التفاعل الحجاجي فانقسم البحث اللغوي جرّاء ذلك إلى قسمين المنحى الشكلي الصوري بزعامة البنيوية

والمنحى الوظيفي بزعامة التّداولية الذي أحدث ثورة فاصلة في مجال البحث اللساني فقد حرّر الدّارسين المعاصرين من القيود المنهجية للنظرية البنيوية، وانفتحوا على الأنساق المعرفية العامّة، كالفلسفة والمنطق، وعلم الاجتماع، وعلم النّفس، وحتى الرّياضيات [1] هذا الانفتاح أدى بدوره إلى التّركيز على الكلام وعناصره ؛كغرض المتكلّم، وحال المخاطب أو سياق الحال.

فعلى الرغم من أهمية الدّراسة التي قدّمها تشوميسكي وهي البنية السطحية والبنية العميقة والملكة اللّسانية والانجاز ظهر غير كاف في نظر ديبلهايمسDELL HYMES إذ

[1] - ينظر: حافظ إسماعلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2011، ص25.

تجاوزه إلى الحديث عن الملكة التّبليغية التّواصلية La compétence de communication و هي من مصطلحات لسانيات الخطاب، هذه الملكة لا تقتصر على البنى اللّسانية التي ينتج عنها التّعبير السّليم فحسب، بل تتضمن أيضا القواعد الاجتماعية ومعرفة سياقاتها و طرائق استعمالها حسب مقتضيات أحوالها ، وقد أيّد الكثير من الباحثين رأي هايمس من بينهم الباحثة الفرنسية صوفي موارون SOPHIE MOIRAND وقدّمت جملة مكوّنات الكفاءة التّبليغية معتمدة على دراسات هايمس، وهي كالآتي :

- المكوّن اللّساني، والمكوّن المرجعي، والمكوّن الخطابي، والمكوّن الاجتماعي الثقافي.

ومن جهة أخرى يقسّم سيمون ديك الكفاءة التّبليغية إلى عدّة كفاءات أخرى، وهي:

- **الكفاءة اللّغوية:** إنشاء جمل ذات بنىصحيحة.
- **الكفاءة المنطقية:** الاعتماد على قواعد الاستدلال والاستنباط.[1]
- **الكفاءة المعرفية:** تخزين مختلف المعارف وتنظيمها، واسترجاعها عند حاجة استعمالها.
- **الكفاءة الادراكية:** إدراك مستعمل اللغة لمحيطه ليتمكن من تأويل و إنتاج الخطابات.
- **الملكة الاجتماعية:** وهي معرفة الظروف والملابسات التي تصاحب عملية إنتاج الخطاب[2].

[1] - ينظر ، المرجع السابق ،ص 27

[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص 28.

إنّ هذه الكفاءات تعتبر من أهم مباحث النّظرية التّداولية، لأنها نظرية تجمع عدّة فروع علمية كما سبق وذكرنا وتظهر جلياّ في هذه الكفاءات مثل، علم اللغة، والمنطق وعلم النفس وغيرها من العلوم المعرفية، فالدّرس التّداولي يستعين بهذه العلوم في دراسة الاستعمال اللغوي.

وإنّ تعددّ إجراءات ومفاهيم النّظرية التّداولية راجع لتعدّد المنابع المعرفية التي نهلت منها هذه النّظرية، ولعلّ المنبع الرّئيسي لها هو الفلسفة التّحليلية وبالضبط فلسفة اللّغة العادية، لهذا كان لزاما على أي باحث يعول على هذه النّظرية الرجوع إلى المنبع الأصلي وهذا لضبط أي مفهوم والاستفادة من إجراءاته.

2. الفلسفة التّحليلية:

وقد نشأت بمفهومها العلمي في العقد الثّاني من القرن العشرين في فينا بالنمسا، على يد الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجةGOTTLOB FREGE (1848-1925) بكتابه" أسس الحساب"، ومن أهم التّحليلات اللّغوية التي أجراها على العبارات اللّغوية، التّمييز بين مقولتين الغويتين، وهما اسم العلم و الاسم المحمول، وهما عماد القضية الحملية.

ما يقابله في الدراسات اللغوية العربية، المسند والمسند إليه للجملة الاسمية، فوظيفة اسم العلم هي إشارته إلى شيء فردي معيّن، بينما وظيفة المحمول هي دلالته على تصوّر أي مجموع الخصائص التي تسند إلى اسم العلم فاسم العلم له معنى مستقل دون حاجة إلى لفظ آخر ليتم معناه، والمحمول يحتاج إلى اسم العلم ليعطيه معنى[1] .

[1]–ينظر: حافظ اسماعيل علوي، التّداوليات علم استعمال اللغة، ص33.

لقد انتقد الفيلسوف الألماني لودفينغ فيتجنشتاين WITTGENSTEIN(1957-1989) مبادئ الوضعانية المنطقية وأسس اتجاها فلسفيا جديدا، وهو فلسفة اللغة العادية التي انبثقت منها النّظرية التّداولية بكل إجراءاتها وبالخصوص ظاهرة الأفعال الكلامية

يدعو فيه إلى دراسة اللغة العادية وركّز على دراسة المعنى في الكلام العادي وتفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم ...إنها دعوة مبكرة لدراسة اللغة أثناء الاستعمال اليومي، فهو صاحب فكرة "لكي نفهم الوجود علينا أولا فهم اللغة" إنّه الأمر الذي اتفق عليه فلاسفة اللغة أمثال رودولف كارنابRUDOPH CARNAP وهو رائد الوضعانية المنطقية، وهوسرلHUSSERL رائد الظاهرتية اللغوية .

إذا ما تأملنا هذه الاتجاهات الكبرى للفلسفة التّحليلية نجد أن النظرية الوضعانية المنطقية تعتمد الاجراءات المنطقية كالرياضيات في تحليل ظاهرة اللغة مستبعدة جانب مهم لها وهو القدرات التواصلية التي يصعب اخضاعها للتحليل الرياضي .

أما الظاهرتية اللغوية فتهتم بجانب للغة وهو الجانب الفكري بعيدا عن الاستعمال اليومي الواقعي، إلا أنها قدّمت إجراء مهم للتدّاولية، وهو مبدأ القصدية intentionnalité الذي أخذ به كل من الفيلسوف أوستين و تلميذه سورل في ظاهرة الأفعال الكلامية [1].

[1]–ينظر: حافظ اسماعيل علوي، التّداوليات علم استعمال اللغة، ص 37.

أما دراسات فتجنشتاين تؤكد على عنصر فهم اللغة فقد أرجع سبب المشكلات الفلسفية إلى عدم فهم لغتنا ومنطقها.[1]

فمفهوم الفلسفة عنده هو توضيح للأفكار عن طريق تحليل العبارات التي تصاغ فيها هذه الأفكار دون إضافة أي جديد بل مجرد طريقة توضيح ما نقول.

فالفلسفة عنده سلاح ضد الفوضى التي تحدث في عقولنا لسوء استخدامنا للغة، فيقول: "أنه يزول ذلك اللّبس وسوء الفهم المتعلق باستخدام الألفاظ إذا ما استبدلنا صورة تعبير بصورة تعبير أخرى ..." إنه قول يعكس نظريته ألعاب اللغة فلقد كان تحليل اللغة هو الهدف الأساسي في فلسفته فالتحليل الفلسفي بالنسبة إليه منهجا لا غاية وظهر هذا جليا في "مقدّمة الرسالة المنطقية الفلسفية " وكان جوهرها "أن منطق لغتنا يساء فهمه"[2].

فاللغة في نظرهم هي الأداة المهمة لفهم علاقتنا بالعالم، " فالوجود الذي يمكن أن يكون مفهوما أولا هو اللغة " إنّ ما قدّمه فريجة أثّر في عدد من فلاسفة اللغة أمثال أوستين Austin، وسيرل Searle .

فقد اتفق فلاسفة اللغة على أنّ فهم الإنسان لذاته وعالمه يعتمد في المقام الأوّل على اللغة، فهي التي تعبر عن هذا الفهم في عبارات وتراكيب [3]

1- ينظر : أحمد عبد الحليم عطية، الفلسفة التّحليلية –ماهيتها ،مصادرها–ومفكّروها، ص ص 92...93 .

2–المرجع نفسه، ص ص 92...98 .

3–ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص ص20–21.

تتأرجح بين الغموض والوضوح وهما محط اهتمام الدّراسات اللّسانية الحديثة، ضف إلى ذلك وظيفتها الكلاسيكية القارة والأساسية كما حدّدها أندريه مارتنيه هي

" تأمين التّواصل بين مختلف مستخدميها وفي إطار المجتمع الذي ينتمون وتنتمي اللغة إليه"[1].

3-مفهوم الوظائف التّداولية:

لعلّ القارئ لعنوان الرّسالة فيما يخص عبارة " الوظائف التّداولية "يعتقد أن المقصود به ما تناوله أحمد المتوكّل في ترجمته لكتاب سيمون ديك المعنون "بالوظائف التّداولية " والذي عرض فيه جملة من المفاهيم التداولية كالبؤرة / والحمل، والمبتدأ، والذّيل.

لكن القصد بالوظائف التّداولية في هذه الدّراسة، هو الوظيفة كدور، أي دور الإجراءات التّداولية في تحليل الخطاب للوصول إلى المعنى والقصد، كما تناولها كل من ليتشG.Leech وسيتشيرن Verschueren .

وعرفت الوظائف التّداولية ضمن المدونة الاصطلاحية للدرس التداولي، فهي امتداد لبحوث وظائف اللغة، وتكمن وظائفها في دراسة مكونات الجملة بالنظر إلى علاقة البنية الإخبارية بالطبقات المقامية التي تنجز فيها، فالوظائف التداولية مرتبطة بالسياق والمقام، ومدى إنجازيه اللغة في واقع التواصل[2] .

[1]– أندريه مارتنيه، وظيفة الألسن وديناميتها، تر نادر سراج ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1،2009، ص 29.

[2]–ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، محاولة تأصيلية مع الدرس اللغوي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص 88.

فقد عكفت كل النّظريات اللّسانية منذ القدم على دراسة اللغة وتحليلها، وهذا لفك رموز هذا العالم وفهمه، و إمكانية حل المشكلات التي تواجه البشر، والتي مفتاحها فهم اللغة.

فكان لكل نظرية أو توجه لساني وظيفة وغاية لدراسة هذه الظاهرة ؛ فالبنيوية حصرت وظيفتها في دراسة الجانب الشكلي للغة وتتبع البنى التركيبية لوضع قواعد علمية لتعلم وتعليم اللغة.

أمّا وظيفة النظرية التوليدية والتّحويلية فتكمن في محاولة رائدها تشوميسكي التّعامل مع الظّاهرة اللّغوية بكل معطياتها والحرص على دراسة الدّال والمدلول على حد سواء، عكس الاتجاه التّوزيعي الذّي أهمل الجانب الدّلالي تحت تأثير النزعة السلوكية .

واستطاع تشوميسكي بهذه النّظرة أن يؤسّس منهجا عقليا وظيفته استكشاف الكفاية التي يمتلكها المتكلم والمستمع، واعتنى بالجملة والبنى التّركيبية[1].

ثم تبعتها النظريات التي اعتنت بالشكل والمعنى والسّياق، فكانت وظيفتها دراسة البنى التركيبية داخل سياقاتها لتتجلى في الأفق وظيفة النظرية التداولية والتي درست التراكيب النحوية أثناء استعمالها واعتنت بالملفوظ وغير الملفوظ أي الكلام غير المصرح به .

فقد كان أول تحديد لوظيفة التّداولية في حقل اللسانيات، هو تحديد تشارلز موريس "الدّلالة تبحث في علاقة العلامات بمدلولاتها، والتّداولية تهتم بعلاقة العلامة بمؤولها"، ويؤكد

[1]–ينظر: أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات– ديوان المطبوعات الجامعية، ط2 ،2009، ص25.

ليتش" G. Leech "أنّه لا يمكن أن نفهم طبيعة اللغة نفسها فهما حقيقيا ما لم نفهم التّداولية كيف نستعمل اللغة في الاتصال "، وأشار إلى أن لاكوف Lakoff قد ناقش سنة 1971 "عدم منطقية فصل دراسة التراكيب النّحوية عن دراسة استعمال اللغة ".

فوظيفة أي إجراء تداولي هو دراسة التّراكيب أثناء استعمالها، وهذا ما اتفق علية كل روّاد التّداولية، وظهر هذا جلياً في تعريفاتهم لهذه النّظرية، ودراسة أثر الفعل الكلامي في الواقع، وكيف نغيّر العالم بالأفعال التي هي أفكار في أصلها، وقد أكّد بيرس أنّ البراجماتية pragmatism "نظام فلسفي لتفسير معنى الفكرة أو العقيدة، فالفكرة هي مشروع للعمل وليست حقيقة في ذاتها كما تزعم الفلسفة العقلية...هي خطوة تمهيدية للعمل و لإحداث النّتائج في هذا العمل المحسوس"[1]

إنه تحليل ناضج لهدف وأهمية الفكرة فقد اقتنع بيرس أن تفسير العالم وفهمه فتغييره ينطلق من الفكر الذي يتحوّل إلى قول، ففعل أي إنجاز في عالمنا فتأثير ثم تغيير، وإنها لدعوة مضمرة للاعتناء بالفكرة بتوجيهها نحو النضج الصحيح واتباعها بالقول والعمل، ولا فائدة من فكرة ناضجة مفيدة غير متبوعة بالإنجاز في الواقع، فالفكرة عند روّاد الفلسفة التحليلية شرطها التغيير نحو الأحسن و الأفضل في الواقع .

فمن جهة يضيف وليم جيمس:" أنّ كلّ عقيدة تؤدي إلى نتيجة مرضية أو حسنة إنّما هي عقيدة حقيقة، فليست الفكرة مشروعا للعمل فقط،وإنّما العمل والنّتائج هي الدّليل على صحة

[1] -عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، ص 36

الفكرة ...فقيمة الفكرة ليست في الصور والأشكال التي تثيرها في الذّهن، وليست في انطباقها على حقائق الموجودات،وإنّما في الأعمال التي تؤدي إليها هذه الفكرة، وفي التّغيّرات التي تنتجها في الدّنيا المحيطة بنا"[1].

إنّنا نجد وليم جيمس في قوله هذا يثير قضية مهمة لتطور الأمم ورقيّها ، فلا فائدة من فكرة رائعة منعزلة في زاوية من أذهاننا تصف لنا ما يحيط بنا وتحل عدة مشكلات بدقة متناهية وهي لا تزال قابعة في الذهن لا تحدث أي تغيير أو إنجاز في عالمنا.

فأهمية الفكرة مرهونة بنتائجها في أرض الواقع فإنجاز الأشياء بالكلمات وتغيير الواقع إلى الأحسن هو الفكرة المرضية على حد تعبير وليم جيمس، اعتنائهم بأهمية تجسيد الأفكار الحسنة في الواقع يؤكد للمطّلع على الفكر الغربي أنه سبب رقيهم و ازدهار أممهم لقد أعطوا للغة أهمية بالغة في التّحليل وأكيد أن هذه الرؤية تنعكس في مقرّراتهم التعليمية التّعلمية التي تهتم بتنمية الفكر وتجسيده .

إنّ الوظيفة التّداولية تسمح بالمرور من فضاء إلى آخر، وإقامة علاقات بين علوم مختلفة.[2]

ونحن بصدد الحديث عن وظائف المنهج التّداولي فإنّه لا يمكننا حصره في وظيفة واحدة، وهذا لتعدّد إجراءاته وهذا التعدد راجع لتداخل النظرية التداولية مع الحقول المعرفية المختلفة،

[1]–ينظر: المرجع السابق، ص 39.

[2]- ينظر: جاك موشلر–آن ريبول، القاموس الموسوعي للتدّاولية، تر: عز الدين مجدوب، محمد السيباني، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس،2010، ض 162.

الأمر الذي أنهك كاهل المهتمين بالتداولية في تحديد مفهومها تحديدا دقيقا وضبط إجراءاتها واصطلاحاتها.

"فما تحمله من اختصاصات متنوعّة كاللسانيات، والمنطق، والسيميائيات، والفلسفة، والسيكولوجيا، والسيسيولوجيا يحول دون تحديد ما إذا كانت التدّاولية درساً أم صراع دروس مختلفة، وعليه يتضح لنا أن وظيفة التّداولية وموضوعاتها تتسم باتساع المجال ورحابته مما يثير الخوف من التوسيع غير المضبوط على حد تعبير فيرستشيرنJef Verschueren)".[1]

قد يكون هذا الاتساع والتشعب مناسبا لدراسة ظاهرة اللغة لأنها بطبيعتها ظاهرة زئبقية من حيث الاستعمال متمردة بطبعها على قواعدها المحضة إذ تتداخل عدة حقول معرفية حين تَشَكُّل الخطاب ولعل هذه هي النظرية التي تحوي اللغة بجبروتها و بساطتها وتنوع استعمالاتها حسب أحوال المتخاطبين و ظروفهم .

تحدد وظيفة التداولية بتجاوزها لمهمة دراسة الجملة والعلاقات الدّاخلية في النّحو، وتجاوز دراسة قضايا الدّلالة، فهي تدرس أفعال اللغة والسياق الذي تؤدى فيه هذه الأفعال، وتقف على أقصى ما يمكن أن يتضمّنه المنطوق من المعاني، وتنبّه ليتشG.Leech إلى أنّ وظيفة التّداولية الربط بين المعنى النّحوي ودلالته التّداولية، وهذه العلاقة تتمثل في الكلام المباشر وغير المباشر، ويقول "إنّني افترض أنّ المعنى يمكن وصفه بواسطة وسائل التمثيل الدّلالي

[1]–ينظر : المرجع السابق، ص 43.

في بعض الاستعمالات الرّسمية للغة أما قوّة التّلفظ فإنّها حتما تتمثّل في عدد من الاضمارات ...فالتداولية تدرس السّلوك النّاتج عن دوافع معيّنة ..."[1].

ويقصد ليتش في هذا القول أن الوصول إلى معنى سهل السبيل وهذا من خلال البحث عن معنى الكلمة في المعجم أو في استعمالاتها في السياقات المختلفة واطلاع على قواعد اللغة ومستوياتها، أما قوة التلفظ فتكمن في الأثر الذي تتركه الكلمة في الواقع من خلال القول الذي يصعب اخضاعه لقواعد اللغة و حتى التحليلات المنطقية المتفق عليها، فيمكن للخطاب أن يحتوي على جملة من المعلومات مرهون تحقيقها بخصوصيات المتلقي والسياق والظروف، وهذا من بين موضوعات التداولية البحث عن الظاهر والمضمر في القول لتحقيق نجاح عملية التواصل.

ومن بين أهم التّعريفات للنظرية التّداولية ،هو : "دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفية وهو نوع من التّعريف يحاول أن يوضّح جوانب التّركيب اللّغوي بالإحالة إلى أسباب غير لغوية ". فالتّداولية هي دراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النّظريات الدّلالية، فهي تأتي فيما بعد لتدرس ما هو غير لغوي وتفك شفرات القول، فوظيفتها البحث عن كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم، كأين يقول المتكلم: " أشعر بالعطش" يقصد بهذه العبارة : أحضر لي كوبا من الماء .

[1]– جاك موشلر–آن ريبول، القاموس الموسوعي للتدّاولية، ص 43.

فموضوع التداولية البحث فيها هو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي، فهي تدرس اللغة من وجهة وظيفية عامة؛ معرفية، واجتماعية وثقافية.[1]

ويجمع بعض من الباحثين أنّ للمعنى مستويات ثلاثة :

1. **المعنى اللّغوي:** وهو المأخوذ مباشرة من دلالة الكلمات والجمل.

2. **معنى الكلام:** وهو المعنى السّياقي.المعنى الكامن أو الموجود بالقوة : وهو معنى المتكلّم ومثال على ذلك،إذا قال لك شخص في سياق محدد : أهذا ابنك ؟فاسم الإشارة "هذا" يشير إلى شيء محدد وهو الابن، وكاف الخطاب يشير إليك فأنت في الوهلة الأولى لم تصل إلى معنى المتكلم بعد ،

هل يريد الإجابة بنعم، أو لا، أو يخرج بسؤاله هذا عن المعنى الحقيقي للعبارة إلى قصد آخر، وهو مثلا التّعبير عن اللّوم لأن ابنك أزعجه، فالسياق ولغة الجسد والظروف والملابسات ونبرة الصوت يتدخلون في تحديد المعنى الكامن، أو الموجود بقوة .

هذا عن وظيفة النهج التداولي، أما عن الإجراءات التحليلية لهذا المنهج فمن الباحثين من يرى أن التداولية لا تنتمي إلى أي مستوى من مستويات الدرس اللغوي، صوتيا كان أم صرفيا أم نحويا، لأن كل مستوى من هذه المستويات له أنماطه التّجريدية و وحداته التّحليلية، عكس المنهج التّداولي.[2] وتعد التداولية نقطة التقاء مجالات العلوم ذات الصّلة باللغة، ومنها:

[1] - ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص 13-14.

[2] -ينظر : المرجع نفسه ،ص 14

- **علم اللغة الاجتماعي** (Sociolinguistics) :ويتشارك مع التداولية في تبيين العلاقات الاجتماعية بين المتحدّثين، والموضوع الذي يدور حوله الكلام، وكرتبة كل من المتكلم والسامع وجنسه، وأثر السّياق غير اللغوي في اختيار التّراكيب اللغوية المناسبة للحديث.

- **علم اللغة النفسي** (Psycholinguistics):وهو يشترك مع التداولية في الاهتمام بقدرات المتخاطبين، مثل الانتباه، والذّاكرة ، والشّخصية.**تحليل الخطاب** (Discourseanalysis) :ويشتركان في تحليل الحوار، خاصة مبادئ الحوار[1].

[1]- بتصرف: المرجع نف، ص11.

الفصل الثاني : نظرية الأفعال الكلامية

المبحث الأول : نظرية الأفعال الكلامية عند الغرب(بول غرايس، و أوستين وسورل)

1- **عند أوستين** J.B.Austin+ 1911-1961

2- **عند سورل** (John Sear l1932+

3- **عند بول غرايس**:(Heret Paul Grice،1913-1988

المبحث الثّاني: نظرية الأفعال اللغوية عند العرب

1- الجذور المعرفية لنظرية أفعال الكلام في التراث اللغوي العربي(الخبر والإنشاء)

2- نظرية أفعال الكلام وعلم الأصول

3- التداولية و التراكيب النحوية

إنّ من بين المفاهيم التّداولية التي لاحت في الأفق واشتهرت نظرية أفعال الكلام، فقد كان الفضل لكل من أوستين وسورل في إدخال مفهوم العمل اللغوي في قلب الدّراسات اللغوية، فأصبحت الوحدة الأساسية لدراسة اللغة هي "مفهوم العمل اللغوي"، والتي تركز على الجانب الاجتماعي للغة ، وما هو خارج عن كيان التركيب، والبحث عن المعنى غير المصرّح به أو المعنى المقصود الخفيّ ، بعدما استبعد البنيويون المعنى من الدراسة اللغوية، بحجة أنّ المعنى يصعب إخضاعه إلى منوال شكلي، وانحبست الدلالة في حدود المعجم .

وركز البنيويون في دراساتهم على "الدّال والمدلول" وعملية الاستبدال ، وقد عجزت حين وصولها إلى الظواهر اللغوية التي تتميز بالاستقلالية في الوجود، مثل المشيرات الدّالة على المكان والزّمان، نحو،هنا، والآن؛ لأنها ألفاظ لا يمكن أن ندرك دورها في التّركيب إلا بعد التّعرف على المقام الذي ألقيت فيه هذه الألفاظ[1].

فأصبح مفهوم الفعل الكلامي (Speech act) نواة مركزية في عملية التحليل اللغوي والفكرة التي قام عليها هي: أنّه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، فهو يعتني بالجانب النحوي ليحقق أغراض إنجازية ،(كالطلب، والأمر والوعد، والوعيد)

و ليصل إلى غايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي، وهذا كله ليجسد الفعل على أرض الواقع، كأن يؤثر في المخاطب، اجتماعيا، أو مؤسّساتيا، فيحقق الإنجاز في آخر الأمر[2].

[1]–ينظر: معاذ بن سلنيمان الدّخيل، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية "مقاربة تداولية"، نادي القصيم الأدبي، دار محمد علي للنشر، ط1، 2014، ص 23.

[2]–ينظر: حافظ إسماعيل علوي، التّداوليات علم استعمال اللغة، ص 51.

المبحث الأول : نظرية الأفعال الكلامية عند الغرب :

1-عند أوستين (J.B.Austin+ 1911-1961)

هي نظرية أسس لها أوستين« Austin » فيلسوف أوكسفورد من خلال المحاضرات التي ألقاها سنة 1952، ونشرت بعد وفاته في كتاب "How to do things with words"و قام ببنائها سورل « Searle »و مفاد هذه النّظرية أنّ الجملة في اللغة الطبيعية لا تنقل معلومات مجردة، وإنّما لها وظائف تختلف باختلاف استعمالاتها في السّياقات المتعددة ، فقد تفيد طلبا، أو وعدا ...ممّا يحقق إنجازا، فأصبحت اللغة بعدما كانت أداة تمثيلية فضاء تمارس فيه حيوية العناصر الإنجازية

وقد قسّم أوستين الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعال فرعية :

أ. **فعل القول (Acte locutoire)** : و يراد به "إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم و ذات دلالة"[1] ويقصد أوستين هنا المستويات اللسانية المعروفة : المستوى الصوتي ، والمستوى التّركيبي و المستوى الدّلالي، لكنّه يسميها أفعالا.

ب. **الفعل المتضمن في القول (Acte illocutoire)** : وهو الفعل الإنجازي الحقيقي فهو "عمل ينجز بقول" و هو القيام بفعل ضمن قول معين .

ت. **الفعل الناتج عن القول (Acte perlocutoire)**:وسماه البعض " الفعل التّأثيري" وهو الآثار الناجمة عن القول، كالإقناع ، والإرشاد، أو التضليل.

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص22

وبالتالي يستخلص أوستين ثلاث مميزات للفعل الكلامي، وهي كالآتي:

⇐ أنّه فعل دال.

⇐ أنّه فعل إنجازي .

⇐ أنّه فعل تأثيري

ويقوم كل فعل كلامي على مبدأ القصدية، وهذا بالتّأكد من الرّبط بين العبارة اللغوية ومراعاة مقاصد المتكلّمين .

وقد عارض أوستين فلاسفة اللغة الوضعيين، الذين ضيّقوا حسب تعبيره على اللغة بسجنها في مجال الوصف، وإخضاع الجمل الوصفية (الخبرية)لمعيار الصدق والكذب، أماّ الجمل الإنشائية فنعتوها بالجمل الهامشية (غير الوصفية حسب تعبير الفلاسفة الوضعيين)[1]

وقدّم طرحا آخر أحدث نقلة مهمة في مجال الدّراسات التداولية و خاصة نظرية أفعال الكلام وهذا بتمييزه بين الجمل الوصفية (Constative) التي تخضع لمعيار الصّدق والكذب، والجمل الإنجازية (Performative) والتي لا تخضع لمعيار الصدق والكذب، وأهم اختلاف، هو أنّه مجرّد التّلفظ بها يشكّل فعلا لغويا؛ أي إنجاز، وأمثلة على ذلك الجمل الآتية :

أ. إنّني أهب ثروتي لزوجتي.

ب.أعلن عن افتتاح الجلسة.

ت.أعدكم بزيارتي غدا.[2]

[1]- ينظر : حافظ إسماعيل علوي، التّداوليات علم استعمال اللغة، ص52.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص91.

فهذه الجمل لا تصف واقعا، ولا تقرّر أحكاما تخضع لمعيار الصّدق والكذب، وهي ليست خاضعة للمعنى، فإن إنجازها يتحقق بمجرّد التّلفظ بها ؛ ففعل الهبة في المثال (أ) ، و فعل الافتتاح في المثال (ب) ، وفعل الوعد في المثال (ت) .

والملاحظ من تحليل أوستين للجمل الوصفية (الخبرية) ،أنّه حتى في الجمل الخبرية يمكن أن ننجز أفعال و نحققها في الواقع فهي ليست لوصف الواقع فقط و ليست دائما تخضع لمعيار الصّدق والكذب، وإذا كانت كذلك تكون صادقة إذا كانت مطابقة لما تصف ، و كاذبة إذا كانت مخالفة لذلك، أما الجمل الخبرية الإنجازية تخضع إلى معيار النّجاح والفشل الذي بدوره يخضع إلى شروط مقامية حسب استعمالاتها .[1]

فالجملة الإثباتية نوعان ؛ جملة إثباتية تصف واقعاً، وجملة إثباتية تغير واقعا، وتنجز فعلا وشكلها هو الذي يوهم أنها جملة خبرية إثباتية؛ إذن فهي لا تخضع إلى معيار الصدق والكذب ويمكن أن تسمى أقوالا إنشائية مع مراعاة شروط سياق إلقائها السالفة الذكر ،أما الجملة الإثباتية التي تصف واقعا نادرة جدا بالنسبة لأوستين .

وحتى الإنشاء طاله التقسيم من أوستين حيث أنه يقسمه إلى قسمين؛ إنشاء أولي

[1]–ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، التداولياتعلم استعمال اللغة، ص 97.

(ضمني)، و إنشاء صريح ، وهذا الإنشاء الذي قدّمه أوستين ما يسمى بالإنشاء الإيقاعي أو الإنشاء غير الطلبي في الدراسات البلاغية العربية، وسنعود إليه في مبحث "نظرية أفعال الكلام عند العرب "الخبر والإنشاء[1].

إنّ سياق الموقف هو الذي يحدد بدقّة القوّة الإنجازية للجملة، ما إذا كانت الجملة لا تتعدى حدود الوصف والإخبار، ومثال على ذلك كتابة عبارة " التّلفزة معطّلة " في ورقة بجانب جهاز التلفزيون في سياقات متعدّدة :

- **السّياق الأول** : بجانب جهاز تلفزة في محل بيع ؛ تعني أنّها ليست للبيع فهذه جملة غرضها الوصف و الاخبار.

- **السّياق الثّاني** : بجانب جهاز تلفزة في البيت؛ تعني لا تشّغل الجهاز قد تكون رسالة أمّ لولدها ، فتنهاه عن تشغيلها ، أو زوجة لزوجها تأمره بإصلاحها، وعليه فإن الجملة في السّياق الثاني إنجازية أي تهدف لتحقيق فعل ما.

هذا التّعدد لأغراض الجمل الوصفية جعل أوستين يوحّد كل الجمل اللّغوية في مصطلح واحد، هو "مصطلح الفعل اللّغوي "الذي انطلقت منه قواعد وأسس نظرية الأفعال اللّغوية، وأطلق عبارة المشهورة "حين أتلفّظ وأقول كلاما ما فأنا أحقّق أو أنجز حقيقة فعلا ما"[2]، وليتحقق إنجاز هذه الأفعال يجب أن تخضع لشروط ، وهو كالآتي :

[1]-ينظر: معاذ بن سليمان الدّخيل، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية "مقاربة تداولية"، ص-ص38-39.

[2]-ينظر: حافظ إسماعيل علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، ص97

أ. أن يكون الفعل فيها منتميا إلى مجموعة الأفعال الإنجازية (وعد، أو سأل، أو قال، أو حذّر...إلخ).

ب. أن يكون الفاعل هو نسفه المتكلّم.

ت. يكون زمن دلالتها المضارع .[1]

فقد ميّز أوستين بين خمسة أنواع للأفعال الكلامية الإنجازية :

1. الأفعال الحكمية (الإقرارية) Verdictifs: حكم ، وعد ، أمر ...
2. الأفعال التّمرسيةExersitifs :إصدار قرار لصالح أو ضد ...
3. أفعال التّكليف (الوعدية)Comessifs :الالتزام بعقد، قسم ، تمني...
4. الأفعال العرفية (التّعبيرية)Expositifs :أكّد ، أنكر، أجاب ، وهب
5. أفعال السّلوكيات الاخبارية Comportementaux :رد فعل، تعبيرات تجاه سلوك ؛ رحّب هنّأ...[2]

وإنّنا لنجد تقاطعا واضحا بين ما قدّمه أوستين وما طرحته النظرية السلوكية فيما يخص الأثر الناجم عن تلفظ أي قول من جهة (الفعل التّأثيري عند أوستين) و ردود الأفعال المتوقّعة، ومن جهة أخرى إقرار أوستين بأن دلالة الملفوظات تخضع للنشاط الاجتماعي في إطارها الوضعي الاجتماعي هذا الطرح الأخير نجده في النّظرية السياقية لفيرث، ويمكن القول أن

[1]–ينظر:خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، محاولة تأصيلية مع الدرس اللغوي القديم، ص ص 95–97.

[2]–ينظر : المرجع نفسه، ص97.

نظرية الأعمال اللغوية حافظت على كل ما هو مفيد للنظرية السلوكية وأثرت مجال البحث و وسّعته.[1]

2-نظرية أفعال الكلام عند سورل (John Sear I1932+):

لقد عرّف سورل العمل اللغوي كالآتي:

" إن إنتاج جملة اعتبارية أو قولها في ظروف معينة هو عمل لغوي، والأعمال اللغوية هي الوحدات المناسبة أو الدنيا للتخاطب اللساني "[2].

في هذا التّعريف ينبّه سورل أنه متى لازم القصد المتكلم ، فهو عمل لغوي، فالقصد هو الأساس في العمل اللغوي ،فقد يصدر قول من دون قصد؛ كقول النّائم أو الساهي

أو المتخلف عقليا، أو من غير الإنسان ؛ الآلة مثلا فالغاية من فعل القول مع القصد هي الأثر القولي النّاتج والذي قد يحدث سلوكا معينا.

بعدما استفاد سورل من دروس أستاذه أوستين، ها هو يقترح بعض التّعديلات، وطوّر نظرية الأفعال اللغوية، وقدّم طرحه حول انقسام الفعل اللغوي إلى قسمين و ستعتمد الباحثة على هذا الطرح في دراستها للفعل الكلامي و الذي وجدته يتقاطع و الدرسات البلاغية القديمة فيما يخص الأغراض البلاغية للجمل العربية ، و هذا التقسيم كالآتي :

[1]– صابر حباشة، لسانيات الخطاب–الأسلوبية والتّلفظ والتّداولية–دار الحوار للنشر والتّوزيع، سورية ،ط1، 2010، ص211.

[2]–شكري مبخوت، نظرية الأعمال اللغوية، ميسكلياني للنشر والتوزيع، ط 1، 2008، ص66.

1. **الفعل المباشر:**

إن القول هو العمل في نظر سورل، وهو شكل من السلوك الاجتماعي والذي تضبطه قواعد وهي نفسها التي حدّدها أوستين :

أ. فعل القول: وهو التّلفظ بكلمات وجمل.

ب. فعل الاسناد :يسمح بربط الصلة بين المتكلمين .

ت. فعل الإنشاء: تحقيق القصد المعبر عنه، كأن يكون نصيحة أو اشعار، أو أمر أو تهديد...

ث. فعل التّأثير : ما ينتجه الفعل الإنجازي .

و أمثلة على ذلك، قولنا:

-أنصحكم بمغادرة القاعة؛ فهذه الجملة مجموعة من الأفعال الإنجازية؛ نصح، وأمر وربما تهديد.

- غادروا القاعة فورا؛ الظّاهر أمر و قد يكون تحذير.

-حبذا لو تغادروا القاعة؛التمني، أو الأمر غير المباشر .

-هل غادروا القاعة؟ استفهام ، استعلام .[1]

أما عن التعديلات التي أدخلها سورل على تقسيمات أوستين للفعل اللغوي، هي أنه الفعل اللغوي ينقسم إلى أربعة أفعال في الوقت ذاته، وهي :

[1]-ينظر:الجيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص26.

1- **فعل التّلفظ** : الجانب الصوتي، والجانب التركيبي.

2- **الفعل القضوي** : وينقسم إلى قسمين :

أ. فعل الإحالة: مهمته الربط بين المتخاطبين بالضمائر؛ المخاطَبين (الكاف، أنت، انتم) ضمير المتكلم (أنا، نحن)

ب. فعل الحمل : وهو الإسناد بالمصطلح القديم .

3-**فعل الإنجاز**: و هو الفعل الذي يحقق القصد في القول(تهديد ، أو أمر، أو نصح ، أو تحذير ...)

4-**فعل تأثيري** : يهتم بالنتائج و التّأثيرات التي يحدثها الفعل الإنجازي.[1]

كما هو في الدّراسات البلاغية العربية في علم المعاني في مبحث الخبر والإنشاء التي قعّد لها البلاغيون ، ودرسوا شتى الأغراض البلاغية التي تحيل إليها شتى الأساليب الإنشائية غير الحقيقة أو غير الطلبية .

وقد اهتم سورل بالقوة الإنجازية للفعل وأهمل فعل التّأثير بحجة أن لا ضابط يحكمه ، وأنه ليس بالضرورة أن يكون لكل فعل تأثير أو رد فعل معين .

[1]-ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، ص101.

2. **الفعل غير المباشر:**

في البداية رفض سورل التّمييز بين دراسة دلالة الجملة ودراسة إنتاج الأعمال اللغوية لكنّه لاحظ أنّ دلالة الجملة لا يمكنها تحديد العمل اللغوي في جميع الأحوال، وهذا إذا قصد المتكلّم أكثر مما تدّل عليه الجملة فالدلالة في الخطاب المباشر تحدّدها المكوّنات اللغوية الحرفية .

ولكن قد تكسر القاعدة بتجاوز حدود المعنى الحرفي للكلمة، وهذا ما نلاحظه في المجاز مثلا أو الكناية أو في شتى الأساليب اللغوية؛ كالسخرية والتّهكم وغيرها...لهذا يعتبر تحليل الدّلالة في هذا الإنجاز اللغوي غير المباشر أصعب و أوسع فلابد من إيجاد آليات لتحليل الكلام غير المباشر.

وهنا ظهرت محاولات سورل في إيجاد آليات لتحليل العمل اللغوي غير المباشر ونجده يقول :"ليس من الأساسي بالنسبة إلى التّخاطب اللغوي أن نتصوّر الحالات التي يقول فيها المتكلم بالضبط ما يعنيه"[1].

وهنا يصرح سورل باهتمامه بالحالات التي يطابق فيها المعنى المبنى، حيث يكون السامع على دراية بقواعد الكلام المعروفة، و بالتالي يحدث الأثر المرغوب، وتسهل عملية التحليل اللغوي .

[1]–ينظر: شكري مبخوت، نظرية الأعمال اللغوية، ص99.

في عرض سابق ذكرت أن أوستين فرق بين الأفعال اللفظية، والأفعال الإنجازية، وفرق بين الأفعال الإنجازية الصريحة وبين الأفعال الإنجازية الأولية، ويأتي سورل بعده ليوسع هذا الطّرح و يقدم ما أسماه بالأفعال الإنجازية المباشرة ، والأفعال الإنجازية غير المباشرة فالأفعال الإنجازية المباشرة هي التي تطابق قوّتها الإنجازية قصد المتكلّم (المعنى مطابق المبنى)و يمكن للسامع أن يفهم قصد المتكلم بمجرد معرفته بالكفايات اللغوية (تركيب،و دلالة).

أماّ الأفعال الإنجازية غير المباشرة فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فيؤدي فعل إنجازي غير الفعل الإنجازي المقصود من التركيب، والمثال المشهور الذي عرضه سورل هو كأن تكون في مائدة أكل مع صاحبك وتقول له: هل تناولني الملح؟ الفعل الإنجازي الحرفي لهذه العبارة هو الاستفهام، لكنك لا تريد الجواب بنعم، أو بلا، لأنه باستطاعته ذلك؛ لكنّك تطلب الملح بطريقة مهذّبة ليّنة .

ولعلّ من أهم الدّواعي التي تؤدّي بنا إلى توظيف مثل هذه العبارات هو التّأدب في الحديث على حّد تعبير سورل.

إنّ المتكلّم في نظر سورل لا يقصد ما يقول فحسب، بل يتعدى قصده ما قاله ، وطرح جملة من التّساؤلات منها :

-كيف يقول المتكلّم شيئا و يعني شيئا آخر ؟

-كيف يمكن للمخاطب أن يسمع شيئا له معنى و يفهم منه معنى آخر ؟[1]

[1]-بتصرف :محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص80.

ومن أجل الإجابة عن هذه التّساؤلات، اقترح سورل "مبدأ التّعاون الحواري" بين المتكلم والسامع وما يعرفه المخاطَب من معلومات حول الموضوع، بما أسماه استراتيجيات الاستنتاج.

إنّ التّواصل بالأفعال غير المباشرة في نظر سورل أكثر استعمالا من التواصل بالأفعال المباشرة ؛ فالأفعال الإنجازية المباشرة لا تستخدم إلا في المعملات الرّسمية، مثل ،(التشريع ، والتّفويض، والوصية ، والتوريث ، وغيرها) لأن توظيف الفعل غير المباشر في هذه المعاملات قد يؤدّي إلى ضياع الحقوق و اللّبس.

وقد عرض أوستين بعض الفروق بين الأفعال الإنجازية المباشرة، والأفعال الإنجازية غير المباشرة ، وأذكر منها:

- القوّة الإنجازية للأفعال المباشرة ملازمة لها مهما اختلفت المقامات .
- القوّة الإنجازية للأفعال غير المباشرة لا نتوصل إليها إلا بالاستنتاجات و العمليات الذّهنية، لهذا لا تخضع للدراسة الشكلية ، فخرجت عن اهتمامات النّظريات الشّكلية.

فسورل في هذه النّظرية يميز بين معنى الجملة ومعنى المتكلم؛ فمعنى الجملة تحدّده جملة من القواعد، النحوية، والمعجمية، ومعنى المتكلم يحدده السياق والمقام و كل الظروف المحيطة بالمتكلم و القول .

ويمكن للمتكلم أن يعني بقوله ما قاله، وكذلك يعني شيئا آخر لم يقله. ويطلق سورل إشكاليته المشهورة، وهي :"كيف يمكن للمتكلم أن يقول شيئا ويعني ذلك الشيء، ولكنّه كذلك يعني شيئا آخر؟ "

وللإجابة عن هذه الإشكالية أطلق الفرضية الآتية:" في الأعمال اللغوية غير المباشرة يبلّغ المتكّلم إلى السامع أكثر مما يقوله في الحال من خلال التعويل على ما يتقاسمانه من معلومات مشتركة خلفية لغوية وغير لغوية في آن واحد مع القدرات العامة للتفكير السليم والاستدلال من جهة السّامع".[1]

من خلال هذا القول يعرض سورل منوال لتفسير الأعمال اللغوية غير المباشرة:

1- (ما يتقاسمانه من معلومات مشتركة لغوية وغير لغوية)المبدأ المهم للمحادثة وهو مبدأ التّعاون.

2- (القدرات العامة للتفكير السليم والاستدلال) لتفكير السليم الذي يسمح بالقدرة على الاستدلال السليم .

3- الانتقال من العمل الثّانوي (الحرفي) إلى العمل الأوّلي (غير الحرفي) والعلاقة بينهما علاقة دلالية اشتقاقية؛ فالعمل الأولي يشتق من العمل الثّانوي[2].

نستنتج مما سبق ذكره أن العمل اللغوي (الإنشائي) المباشر هو ما طابق القوة الإنشائية للجملة مراد المتكلم؛ أي المعنى يطابق المبنى، وهو ما نجده في البلاغة العربية من أساليب إنشائية طلبية بصيغه الحقيقية المعروفة (أمر، و استفهام ...)

[1] - بتصرف :محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص81.

[2]- ينظر: شكري مبخوت ، نظرية الأعمال اللغوية، ص102.

أما الأعمال اللغوية غير المباشرة فهي التي تخالف القوة الإنشائية للجملة مراد المتكلّم، فيخرج الإنشاء عن هدفه القار بصيغه غير الحقيقة في –تعبير البلاغيين– ليفصح عن أغراض بلاغية تتناغم و نفسية المتكلم (النّصح ، الالتماس ، التهديد ....).

فقد يلجأ المتكلم إلى صيغ إنشائية من باب التّأدب في طلب الأشياء أو إنجازها.

وقد أكمل سورل ما قدّمه أوستين فيما يخص شروط النجاح للأفعال اللاقولية :

1."**الشروط التمهيدية:** أن يكون المتلفظ بقول أجل إنجاز فعل الحق والسلطة والمسؤولية المطلقة في بعض الأحيان؛ كأين يفتتح رئيس الجامعة الموسم الدراسي الجامعي بوله : نعلن عن...، أو عبارة "رُفعت الجلسة "من طرف رئيس المحكمة وإذا لم تلبّ هذه الشروط التّمهيدية يكون العمل فاشلا على حد تعبير أوستين.

2.**شروط النّزاهة** : وهي الصدق في القول، وأن يكون المتكلم عارفا جيدا بما يقول ومعروف بنزاهته في منصبه الاجتماعي أو المؤسساتي، وعدم التّحلي بالنزاهة قد يؤدي إلى عواقب وخيمة ."

3.**الشّروط الجوهرية** :و هي لزوم ارتباط المتكلم أثنا عملية إنجاز فعل القول بالعقائد أو المقاصد ، ولا يجب أن يخالف سلوكه قوله ، وأن يتحرى الحقيقة في الجمل الملفوظة.

3-عند بول غرايس:(Heret Paul Grice،1913-1988):

لقد أسهم في توضيحه لفكرة الأفعال الكلامية غير المباشرة (المعاني الضمنية) وذلك من خلال نظريته الاستلزام الحواري أو نظرية المحادثة فقد وضع غرايس قواعد للمحادثة في نظريته التي تنصّ على أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ التّعاون و أربع مسلّمات حوارية[1] ، وهي:

1-مسلّمة القدْر (Quantité) أي الكمية، و تتفرع إلى مقولتين:

أ. اجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الإخبار.

ب.لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر من المطلوب .

2-مسلّمة الكيف (Qualité):لا تقل ما تعتقد أنه كاذب ، و لا مالا تستطع البرهنة عليه.[1]

ينظر :صابر حباشة ، لسانيات الخطاب-الأسلوبية و التّلفظ و التّداولية،ص 210

3-مسلّمة الملاءمة (Pertinence) :لتكن مشاركتك ملائمة للحديث.

4-مسلّمة الجهة (Modalité) :و هي الوضوح في الكلام ، و تتفرع إلى ثلاث قواعد

أ- ابتعد عن اللّبس ،

ب-تحرّ الإيجاز،

ت-تحرّ التّرتيب،[2]

[1] - ينظر :صابر حباشة ، لسانيات الخطاب-الأسلوبية و التّلفظ و التّداولية،ص 210

[2]- حافظ إسماعيل علوي، التّداوليات علم استعمال اللغة، ص 46.

العبارات اللّغوية عند بول غرايس تنقسم من حيث معانيها إلى قسمين ، وهما كالآتي

1. **المعاني الصريحة:** والتي يدل عليها تركيب الجملة، أي الجانب الشكلي للتركيب وتنقسم بدورها إلى :

– المحتوى القضوي : وهو العلاقات الإسنادية في التّركيب ومعناها الذي تدل عليه .

– القوة الإنجازية الحرفية: وتكمن في الصيغة الأسلوبية للجملة، من استفهام، أو أمر أو نهي، أو نفي، أو إثبات...

2.**المعاني الضمنية:** وهنا يتدخّل السّياق في تحديد معاني الجملة، والتي لا تدل عليها في الواقع –الجملة–، وتشمل ما يأتي :

– معاني عُرفية: وهي الخاضعة للتّواضع و الاتفاق في مقامات معيّنة.

– معاني التّخاطبية : وهي المعاني التي في إنتاجها تخضع للمقامات التي تنجز فيها.[1]

[1]–ينظر المرجع نفسه ص 47

المبحث الثاني: نظرية الأفعال اللغوية عند العرب

1-الجذور المعرفية لنظرية أفعال الكلام في التراث اللغوي العربي:

إنّ المتصفّح للتّراث العربي؛ كالبلاغة، والنحو، وعلم الأصول، يجد أنّ النحويين والبلاغيين والمفسّرين تعمّقوا في تحليل الظاهرة اللغوية منذ القرن الثاني الهجري وهذا لغايات دينية غرضها فهم معاني القرآن الكريم، وحفظه من اللّحن وتقتضي دراسة الآيات القرآنية الكريمة عدم الفصل بين الشكل والمعنى والمقام، والوقوف عند فواصل الآيات القرآنية وحتى الكلام العادي للبشر يتطلب تحليل ودراسة ، إلا في حالات نادرة خاصة فيما يتعلق بحقل تعليمية اللغة، فدرس النحاة التراكيب النحوية ضمن سياقاتها المتعدّدة ، فكان المقام نقطة التقاء الدراسات النحوية مع الدراسات البلاغية، والفصل بينهما للوصول للمعنى ضرب من التضليل ،فاهتم النّحاة بأغراض الأسلوب والمقاصد، وطبيعة العلاقة بين المتكلّمين، وأحوالهم، وربطوا في دراساتهم النحوية بين التّركيب وأحوال استعمالاته، وركّزوا على حصول الفائدة، وتعمّقوا في تحليل الظاهرة اللغوية و تطوير أسس التّمييز بين الخبر والإنشاء والتي تعني في الدّراسات الغربية أفعال الكلام[1].

وقد بني منهج النّحاة في وصف التّراكيب من خلال تخصيص باب لكل وظيفة نحوية، ومفهوم نحوي، ومثالا على ذلك: باب المبتدأ والخبر، باب المنصوبات، باب المرفوعات ... إلى غيرها من الأبواب النّحوية المعروضة في تراثنا النّحوي الثّري.

[1]-ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العماء العرب، ص 48.

وإذا ما عدنا إلى أول تعريف للتّداولية فهو ما قدمه تشارلز موريس " الدلالة تبحث في علاقة العلامة بمدلولاتها، والتداولية تهتم بعلاقة العلامة بمؤولها" فالتداولية هي البعد الثالث للعلامة في الدراسات السيميوطيقية.

إذ أن لب الدراسة في هذا البعد هو الاهتمام بمستعملي اللغة ودراسة اللغة أثناء الاستعمال، مع دراسة السياق الذي تنشأ فيه هذه اللغة، ضف إلى ذلك الجانب الاجتماعي والثقافي والنفسي لعناصر الخطاب، وهذه المسألة لم تهملها الدراسات العربية النحوية والبلاغية، فقد درسوا اللغة وفق المقام الذي تستعمل فيه و أطلقوا العبارة المشهورة، "لكل مقام مقال "فلا يمكن أن تحلل الظاهرة اللغوية بمعزل عن السياق، و لم تنفصل الدراسات النحوية عن الدراسات الدلالية والسياقية، وهذا من أجل غاية وهي الوصول إلى قصد المتكلم .

فالدراسات النحوية هي الأسبق في الظهور من الدراسات البلاغية، و النّحاة هم أصحاب الفضل الأول في نشأة البلاغة التي كانت في بداياتها نظرات متناثرة ،في مباحث نحوية.

وتعد دراسة البلاغة في القرن الثاني الهجري على يد الخليل (175ه) وسيبويه(180ه) جوهرية وضرورية لإرساء علم البلاغة، كما كان للنحاة الفضل في إثراء الدرس البلاغي، كابن جنيّ و الفراء (207ه) و ابن قتيبة (276ه) والرّماني(286ه)[1].

إنّ الدّراسات اللسانية على مر العصور اهتمت بهذه التّراكيب اللغوية وبدراسة العلاقات النحوية، والعلاقات الدلالية، وهو البحث عن علاقة العلامة اللغوية بالمعنى .

[1] –ينظر: عبد القادر حسن، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، 1998.

وأشار موريس في دراساته السيميوطيقية إلى دراسة ثالثة، وهي دراسة العلاقات بين المرسل والمستقبل وعلاقتهما بسياق الاتصال، أي دراسة علاقة العلامة اللغوية بمستعمليها فلا يكفي معرفة الجانب النحوي والدلالي للوصول إلى قصد المتكلم، فالكل يشتغل من أجل تحديد القصد.

فالجانب النحوي له أهميته الكبيرة في عملية التحليل التّداولي، لهذا نقطة البدء عند ليتش اهتمت بالتّمييز بين النحو والتّداولية، ومن جهة أخرى اهتم بعلاقة النحو بالبلاغة كون البلاغة علم قديم يحمل بذور التّداولية، فالنحو يدرس الجانب الشكلي للغة .[1]

والتداولية تتبنى مبادئ استعمال اللغة، فهما حقلان متكاملان في اللسانيات، فلا يمكن فهم طبيعة اللغة بدون دراستهما، ودراسة التفاعل بينهما[2].

يمتدّ الدرس التداولي على مساحات واسعة ومختلفة، بما يجعله حقلاً يركِّز على مناطق متداخلة من علم الدلالة وعلم النحو ، فالارتباط وثيق بين محاور هذين العلمين فإننا نجد أنّ المحور التداولي يولي العلاقة بين التراكيب النحوية أهميةً كما يُعنى بالمقام مباشرةً أما المحور الدلالي فيدرس أولاً الصلات بين الرموز اللغويّة و مسمياتها ، وهو فضلاً عن ذلك يلتفت إلى المقام، لكنه لا يُعنى بتفاصيل القول فيه ، تاركًا عبء ذلك على التداوليّة[3].

---

[1] - ينظر عيد بلبع، التداولية بعد ثالث في سيميوطيقا موريس، ص41.

[2] -ينظر المرجع نفسه، ص41.

[3] - ينظر: نعمة دهش فرحان الطائي، الملمح التداولي في النحو العربي (تحليل و استنتاج)، مجلة العميد، العدد الثامن ، كانون الأول 2013، ص457.

2- نظرية أفعال الكلام وعلم الأصول:

إنّ القرآن الكريم منهاج الحياة الفاضلة الكريمة، نصّ أراد به الله عز وجل الارتقاء بالبشرية، وتحرير الإنسان المسلم من نزعات النفس الأمارة بالسوء، ليسمو به إلى عالم الخير والسلام والنجاح في الدنيا والآخرة، فهو دستور جامع مانع وشامل لمختلف جوانب الحياة، فقد قدّم الله عز وجل في كتابه الكريم الحلول الجذرية لشتى مشاكل الحياة للإنسانية عامة وللمسلم خاصة، ولهذا وجب علينا ليس قراءته وحفظه فحسب، بل بتدبّر آياته وحسن فهمها ومن ثم تمثّلها في سلوكياتنا وأقوالنا و أفعالنا ، واتباع سنة نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم .

وإن المسلم لذو حظ عظيم لأن بين يديه نور البصائر والأفئدة، نور يحفظه من الضلالة والتّيه إذا فهم معناه الظاهر وفي كثير من الأحيان معناه الباطن.

وقد عكف علماء اللغة والفقه والأصول منذ القرن الثاني الهجري على تحليل النص القرآني وتفسيره وتبيان معانيه، وهذا راجع لعوامل دينية ولغوية؛ دينية لتفسير القرآن الكريم وفهم الحديث النبوي الشريف للعرب وغير العرب، واستنباط الأحكام الشرعية وتذليلها للمسلمين، أما اللغوية فلوضع القواعد النحوية لحفظ اللسان العربي كما اجتهدت الأمم الأخرى لحفظ لغاتهم، واللغة العربية أعلى من شأنها القرآن الكريم وحفظها من الزّوال، فانطلقت الدراسات النحوية والبلاغية من النّص المقدس.

واجتهد علماء الدين واللغة اجتهادا بالغا لحفظ القرآن الكريم من اللحن الناتج عن اختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم، فكانت أول بذرة للدراسات اللغوية العربية، والتي نشأت مبكرا إلى أن وصلت إلى مرحلة النّضج والاكتمال، حوالي القرن الخامس الهجري.

أما في القرن الرّابع الهجري الموافق تقريبا للسنة الميلادية 912 بلغ الدّرس النّحوي والصرفي والأصواتي قمته، أما ما جاء بعد ذلك من الدراسات ترديد أو تذييل وشرح وتلخيص ، أو تنظيم لما سبق من الدّراسات .

وقد نهل اللغويون العرب من مصادر متنوّعة لإثراء مادتهم العلمية، ويمكن حصر هذه المصادر فيما يأتي :

- القرآن الكريم،
- القراءات القرآنية،
- الحديث النّبوي الشريف،
- الشعر العربي،
- الشّواهد النثرية المتعدّدة[1] .

فامتلأت مكتبة التراث اللغوي العربي بمؤلفات وموسوعات تتضمن شتى الظواهر اللغوية، وأخرى في تفسير القرآن الكريم وإعرابه.

[1]– ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب (مع دراسة لقضية التأثير والتأثر)، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988، ص12.

وازدهرت الحركة النحوية في البصرة، وانتقلت إلى الكوفة، ثم إلى بغداد، ثم إلى بلاد الأندلس، ثم إلى مصر والشام، وكثرت النقاشات والمناظرات والجدل، واجتهد النّحاة في تيسير علم النحو أمثال ابن مضاء القرطبي، وابن هشام الأنصاري، وتواصلت حملة التّيسير، والشرح من أجل تمكين المتعلم العربي وغير العربي فهم وتعلم اللغة العربية وخاصة فهم النّص القرآني .

ولا يخفى على الباحث اللغوي العربي أن القرآن الكريم كان سببا في نشأت علم النحو ولعل أوّل لبنة لهذا العلم ما روي عن علي كرّم الله وجهه في أمره بتنقيط القرآن الكريم

وتشكيله على يد أبي أسود الدّؤلي و وضع أسس النحو، فابن الأنباري ذكر في كتابه نزهة الألبا ما روي عن أبي أسود عندما دخل على علي كرّم الله وجهه فقال له :"إنّي تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء –يعني الأعاجم– فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه، ويعتمدون عليه، ثم ألقى إليّ الرقعة وفيها مكتوب : الكلام كلّه اسم وفعل ، وحرف ...و قال لي : انح هذا النّحو، وأضف إليه ما وقع إليك"[1].

وشكّك الباحثون المحدثون من العرب في بلوغ النّحاة القدامى هذا المستوى من التقسيمات أمثال، أحمد أمين، وإبراهيم أنيس، ونسب الباحثون غير العرب علم النّحو إلى اليونان أو الفرس أو الآراميين[2].

[1]– ينظر :عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ،على جراح الصباح ، ط2 ،1978، ص51.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 59.

لكن هذا الإنكار نراه إجحافا في حق النحاة العرب القدماء الذين اجتهدوا وجابوا الأمصار والفيافي القفار من أجل التحقيق في لفظة واحدة فقط، فكان الرجل العالم أو طالب العلم يخرج من بيته يقطع مسافات أجل التحقق من مسألة نحوية واحدة و الجلوس إلى عالم من علماء الدين أو اللغة ليتدارسا ظاهرة من الظواهر اللغوية.

فاللغة العربية حظيت من أبنائها عناية بالغة ومن غير أبنائها الذين سلبهم وأسرهم أسلوب القرآن الكريم فما استطاعوا عليه صبرا فاهتموا بها كاهتمام أبنائها أو أكثر فبلغ النحو العربي أوجّه في القرن الخامس الهجري كما سبق وأن ذكرت وما كان بعد ذلك تيسير وتذليل و تبويب وشرح وتبسيط، واهتمت الأمم الأخرى بلغتها فهذه فطرة أودعها الله في عباده، أن يحافظ الإنسان عن هويّته و يدافع عنها .

أما عن مسألة التأثير والتّأثر فواردة لا محال، بين العلوم اللغوية العربية والغربية من منطق وفلسفة.

وهناك من نسب وضع علم النحو لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، والروايات كثيرة لا يتّسع المقام لذكرها.

فقد أعلن الصحابة رضوان الله عليهم الحرب على اللّحن في القرآن الكريم لأنه – اللّحن– وصل إلى حد الكفر والإلحاد وكتب التراث اللغوي مليئة بهذا النّوع من الأمثلة حول اللحن[1]، على سبيل المثال ،قرأ أحدهم قوله تعالى :﴿هُوَ اَللَّهُ اُلْخَالِقُ اُلْبَارِئ اُلْمُصَوِّرُ لَهُ الأسْمَاء

[1]– ينظر : عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص 61.

ٱلْحُسْنىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا في اِلسَّمَٰوَٰتِ والأرض وَهُوَ اَلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]

بالمصوَّر، بفتح الواو تحوّل اسم الفاعل إلى اسم مفعول وشتّان بين الفاعل والمفعول فوقع القائل في الشرك.[2]

فالقاعدة التي نبني عليها عملية التحليل اللغوي قصد بلوغ المعنى المراد هي سلامة اللغة وقت استعمالها؛ نحوا، وصرفا، ودلالة، ولا يمكن التنازل عن سلامة أي مستوى من مستويات اللغة في عملية التحليل اللغوي مهما طرأ على التركيب من انزياحات وتغيرات في الشكل القار للتركيب اللغوي للجملة و الذي تحدثه الظروف والملابسات التي تنشأ فيها الجملة.

ضف إلى ذلك أحوال مستعملي اللغة، فلكل مقال مقام، وهذه تعتبر تغيّرات طبيعية في إنشاء الخطاب، ولها اجراءاتها التحليلية في عملية الوصول إلى المعنى أسّس لها علماء التّراث اللغوي منذ القدم ما نجده في أبواب الذكر والحذف عل سبيل المثال، أو التقديم والتأخير، فعملية الفصل بين التحليل النحوي والتحليل البلاغي ضرب من المخاطرة، ويصح القول: كل زيادة في المبنى زيادة في المعنى، سواء على مستوى اللفظة الواحدة ما نجده في معاني الصيغ الصرفية أو على مستوى الجملة؛

"فالمتكلّم يتحكم في تصريف الكلمة الأصلية بالزيادة أو بالنّقصان أو بنقل الزّمان ،فمثلا دخول الهمزة على الفعل الثّلاثي تفيد التعدية، أو تفيد السّلب، نحو "شكا إليه فأشكاه "أي سلبه شكواه

[1]– سورة الحشر، الآية 24

[2]– ينظر: المرجع السابق ، ص 62.

"أو إضافة أحرف الزيادة (است) للفعل والتي تفيد الطلب"[1] كقولنا أستغفر الله ؛ فأنا أطلب المغفرة من الله عز وجل .

من أجل هذه السلامة اللغوية اجتهد النحاة للحفاظ على سلامة القرآن الكريم على يد تلامذة أبي أسود الدؤلي، وأبرزهم عبد الله بن أبي إسحاق، وأبو عمر بن العلاء، حتى وصلت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه[2] .

وارتقت الدراسات اللغوية العربية إلى مرحلة المناهج والمدارس وبلغت من الدقة والعلمية ما بلغت بسبب دراستها للقرآن الكريم وكان للقرآن الكريم الدور الفعّال والأثر البالغ في نمو وازدهار الدراسات اللغوية وتطوّرها.

واعتمدوا أيضا في وضع أسس وقواعد اللغة العربية على التّراث الأدبي الجاهلي والإسلامي واستخلصوا منه الشّواهد، وطبقوا إجراءات علمية دقيقة في دراساتهم، مثل القياس والاستنباط، إلا أن هذه العمليات الذهنية والتي تعتبر من قواعد وأسس البحث العلمي نسبت إلى المنطق اليوناني، لكن مادام أنها عمليات ذهنية فقد أودعها الله عز وجل في الإنسان وخصّه بها عن سائر مخلوقاته، ففي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف شواهد تدعوا المسلم إلى الاستنباط والقياس لضبط الأحكام الشرعية خاصة علماء الأصول والفقه والتفسير.

---

[1]– أيمن على عبد اللطيف أبو زيد، عبقرية النثر العربي– دراسة لغوية تحليلية في كتاب الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي في ضوء علم اللغة الحديث، العلم والإيمان للنشر، ط1 ، 2008، ص172.

[2]– ينظر : عبد العال سالم مكرم ، القرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية، ص66.

وتعتبر هذه العمليات الذهنية عندهم اجتهادا[1]، فمن القرآن الكريم قوله عز وجل:﴿وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2]

هذا دليل واضح أن عملية استنباط الأحكام الشرعية واستخراجها لها أهلها من العلماء، والعقلاء الذين لديهم القدرة على الفهم والتحليل وإظهار الخفي، وحسن التفكير والتّدبّر.

أمّا من السنة النّبوية الشريفة نجد هذا الحديث الشريف:" وروي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن قال له: "كيف تَصْنعُ إن عُرِض لك قضاء؟ [3]

قال: أقضي بما في كتاب الله، قال : فإن لم يكن، قال : فسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فإن لم يكن في سنة الله ورسول الله، قال : أجتهد رأيي ولا آلو، قال معاذ: فضرب صلى الله عليه وسلم وسلم صدري، ثم قال :الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضى رسولُ الله".

والمعنى إن لم يوجد دليل صريح من الكتاب والسنة يُفتح باب الاجتهاد بالرأي وهو القياس وعدم التقصير في البحث عن الحقيقة.

[1]– ينظر: عبد العال سالم مكرم ، القرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية، ص 92.

[2]–سورة النساء، الآية:83.

[3] – عبد العال سالم مكرم ، القرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية، ص 92.

ومثال آخر من التراث الإسلامي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه كتب إلى قاضيه بالبصرة، أبو موسى الأشعري :" الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة نبيّه، ثم أعرف الأشباه و قس الأمور بنظائرها..." [1].

أمّا عن الفهم فهو أساس الحياة كلها فالله عز وجل وهب الإنسان عقلا يزن به الأمور ويبحث به عن المجهول ويسعى إلى كشف حقائق الأشياء من أبسط متطلّبات الحياة إلى أرقاها.

والمرجعية الأولى والعليا في الإسلام هي كتاب الله ثم سنة نبيّه الكريم ثم بعدها الاجتهاد .

3 – علم الأصول:

لا بأس أن نقف وقفة وجيزة على التعريف بهذا العلم النبيل،" فقد عرّفه الإمام الشوكاني (1250هـ) بأنّه:" إدراك القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية عن أدلّتها التّفصيلية " و يتم استمداد علم الأصول من ثلاثة أشياء: علم الكلام، وعلم اللغة العربية، والأحكام الشرعية .

[1]– ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

فهو إذن مجموعة من الضوابط و الطرق لفهم النص القرآني وتبسيطه للمكلفين، وقد بدأ هذا العلم منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم ولعل أول كتاب في أصول الفقه هو كتاب "الرسالة" للإمام الشافعي –رضي الله عنه–(204هـ) "[1].

وهذا التعريف يقترب من تعريف السّيوطي ، "بأنّه علم يبحث عن أدلة النحو الإجمالية من حيث هي أدلّة و كيفية استدلال بها ، و حال المستدل "[2]

نلاحظ أن التعريف يحمل مصطلحات (علم)أي صناعة، يرتكز بالدرجة الأولى على علم النحو والمعرفة بقواعده وطرق الاستدلال بها، وحال النحوي المستدل المستنبط لأحكام المسائل، ومفسر القرآن الكريم عالم بأصول علوم اللغة العربية من نحوها وصرفها وصوتها وبلاغتها .

فقد ذكر فخر الدين الرازي(606هـ) :" أن نسبة الشافعي إلى علم الأصول كنسبة أرسطا طاليس إلى علم المنطق، وكنسبة الخليل بن أحمد إلى علم العروض ..."، وثمّن هذه الشهادة باحثين معاصرين، مثل محمد عابد الجابري الذي ذكر اسهامات الشافعي في تكوين الفكر العربي الإسلامي[3] .

فقد اهتم الأصوليون بالخطاب القرآني، ومعرفة اللفظة المفردة والمركبّة، وهذا لاستنباط الأحكام الشرعية منه، كما حرصوا على بيان إعجاز القرآن الكريم، وأيضا اهتموا بكيفية تلقي

[1]–سعود بن عبد الله الزدجالي، التركيب الشرطي في النّحو والأصول (مقاربة دلالية في المفهوم والقضايا النحوية والدلالية والأثر الفقهي)،دار الفرابي، بيروت لبنان ، ط1، 2008، ص20.

[2]– التواتي بن التواتي ، محاضرات في أصول النّحو ، دار الوعي للنشر و التوزيع ، الجزائر ،ط2012،2،ص141

[3]– ينظر: عيد بلبع، القرآن الكريم والتطبيق التّداولي، مجلة سياقات العدد السابع ، ديسمبر 2017، ص20.

المكلفين للنص القرآني بصفته جملة من أفعال إنجازية، وبالتالي اشتركوا في الاهتمام مع اللسانيين المحدثين في كيفية تحويل القول إلى فعل إنجازي، فتناول الأصوليون تفسير القرآن الكريم انطلاقا من عناصر الخطاب جملة واحدة ، المتكلم هو الله عز وجل، والمكلف، والخطاب[1].

ففهم المكلَّف للخطاب القرآني شرط واجب عليه، أمّا الخطاب فيتمثّل في الأحكام الشرعية، وأيضا أخبار الماضين من الأمم لأخذ العبرة منهم، ضف إلى ذلك جملة من الآداب العامة والمعاملات المختلفة، وما عند الله من ثواب وعقاب، فالخطاب القرآني ثري بمعانيه وعلومه المختلفة المجالات.

فكانت مهمة الأصوليين استنباط الأحكام الشرعية وتبسيطها للمتلقي، وتتبع الاحتمالات النحوية التي تتحكم في توجيه المعنى مرهونة بتعدد السياقات التي تنجز فيها، بل دعوا إلى تجاوز هذه الاحتمالات النحوية لأنها تبقى قاصرة عن احتواء معاني القرآن الكريم الخاصة.

فقد فسروا وحللوا كلام الله عز وجل دون الفصل بين أبعاد العلامة المعروفة في البحث اللساني الغربي؛ البعد التركيبي، والبعد الدلالي، والبعد التداولي، وقد أشار الباحثون أن

[1]– ينظر: يوسف سليمان عليان، البعد التداولي عند الأصوليين، "ابن قيم الجوزية في كتابه "بدائع الفوائد" أنموذجا"، ص 483.

الأصوليين كان لهم السبق في ممارسة المنهج التداولي خاصة في ما يخص نظرية أفعال الكلام .[1]

ففي حين اهتم النحويون بالألفاظ والتراكيب وطرق نظمها وأواخر الكلمات إلى الجانب الوظيفي في دراستها، اهتم البلاغيون بالجانب الدلالي والجمالي و المقامي، وعناصر الخطاب، وظهر علم الأصول يزاحم الدراسات النحوية والبلاغية تارة يستسقي من ينابيعهما، وتارة أخرى يستقل عنهما، وكان لابد من التكامل بين هذه العلوم، لأهمية هذا التزاوج في منهج البحث العلمي، وقد ركّز الأصوليون على مباحث كثيرة من النّحو كدراسة معاني الحروف ووظائفها.

وقسموا اللفظ من حيث استعماله إلى حقيقة ومجاز، والعموم والخصوص، وشتى الأساليب اللغوية؛ كالاستثناء، والشرط، و كل ما يتعلق دلالة المفردات والتراكيب، فلا يكاد مؤلَّف في علم الأصول يخلو من المباحث النحوية ككتاب "الإحكام في أصول الأحكام" لصاحبه ابن حزم الظاهري (456هـ)، وكتاب الشوكاني (1250هـ) "إرشاد الفحول" وجملة من العلماء والفقهاء الذين برزوا في تفسيرهم للقرآن الكريم جامعين بين شتى العلوم اللغوية ومتمكنين منها خاصة علم النحو.

لأن نشأة النحو مرتبطة بفهم النص القرآني والسنة النبوية الشريفة، ومنهم الرّازي (606هـ) وابن الحاجب (هـ646)، والزركشي(797هـ)[2].

---

[1]–ينظر: يوسف سليمان عليان، البعد التداولي عند الأصوليين، "ابن قيم الجوزية في كتابه "بدائع الفوائد" أنموذجا"، ص ص 528-529.

[2]– ينظر : سعود بن عبد الله الزدجالي، التركيب الشرطي في النّحو والأصول، ص ص، 20 ،21.

و يتفق الباحثون المعاصرون في مجال التداوليات أن الأصوليين مارسوا المنهج التداولي في تحليلاتهم واستنباطاتهم للأحكام الشرعية منذ القرن الثاني الهجري، فالنّص القرآني ولّد الحاجة إلى الفهم؛ بالتفسير والنحو، والصرف والمعجم، واستنباط الأحكام بأصول الفقه، و إبراز تفرّد الصياغة؛ بعلم البلاغة.

و كان للسياق الأثر البالغ في توجيه التراكيب النحوية وما كان على عالم الأصول إلا تقصي السياقات المتعددة للتركيب الواحد وتتبّع المقاصد للوصول إلى استنباط الأحكام الشرعية من حلال، وحرام وإباحة أو الاستحباب، واقتصر الأصوليون على هذه المسائل فقط .[1]

فالبحث عن المعاني المضمرة الخفية والمقاصد مبحثا من مباحث علم الأصول والبلاغة، ونظرية أفعال الكلام والكل يتكئ على الاحتمالات النحوية المتعددة ويتتبعها ليصل إلى القصد المراد فالهدف واحد والإجراءات تختلف من علم لآخر .

ذكرنا أن علم الأصول يشتغل على الأحكام الشرعية، فماذا عن الأساليب القرآنية والتي ليست الغاية منها نهي أو أمر أو حكم شرعي كالتحريم والإباحة والندب والاستحباب ؟

تشتغل البلاغة العربية على النص المثقل أسلوبيا من الحث على التحفيز، أو الترهيب والترغيب، فالغاية منها هي تحقيق التواصل بين المؤمن والكتاب، وتقف أيضا على تفرد خصائص النظم القرآني وإعجازه.

[1]–ينظر: عيد بلبع ، القرآن الكريم والتطبيق التّداولي، ص 14.

فمن خصائص القرآن الكريم تقاطع السياقات وتداخلها شكلا ومضمونا، لذا وجب التأني والحذر في التعامل مع كلام الله عز وجل لأننا نجد في السور القرآنية أخبار الماضين من الأمم من أحداث وأحوال فهذه الإحالة التاريخية القصَصَية تمثل جملة من الحجج وأيضا عبرا، وليس هذا فقط حتى الحوارات التي تدور بين أهل الجنة، وما يدور من حوار بين أهل النار.

وأهم خاصية يتميز بها النص القرآني الكريم هو الديمومة و الاستمرارية ، فهو نص صالح لكل زمان[1]

حتى مع التغيّرات التي تطرأ على البشر عبر الزمان، وما يزال الحدث التاريخي المحكي والذي انقضى زمانه رسالة إلى كل مخاطَب الآن لهذا يبقى النص القرآني نص مفتوح شديدة الخصوصية، ما يدل على احتواء القرآن الكريم هذا الكون احتواء تاما و شاملا و لازال هذا النص المقدس يُستقبل لأول مرة من آلاف البشر على وجه الأرض .

وزد على ذلك خصوصية التلقي فالمتلقي الأوّل في الدّنيا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى المسلم وغير المسلم زمن النزول، ثم إلى البشر كلهم عبر الزمن[2] ،فهذه المتغيّرات تتحكم في عملية التحليل بالنظر إلى السياق وأسباب النزول للوصول إلى المقاصد واستنطاق التراكيب الإخبارية والإنشائية التي يعدها الباحثين المعاصرين نظرية أفعال الكلام .

[1] –بتصرف: عيد بلبع، القرآن الكريم والتطبيق التّداولي، ص23

[2]–ينظر: المرجع نفسه، ص24.

ففكرة العدول والإنزياح في البلاغة العربية تتلاقى مع بعض مباحث نظرية أفعال الكلام خاصة في القسم الثاني من العلامة عند أوستين وهو الوظيفة الإنجازية التي نالت اهتمام الباحثين [1]،

وأيضا تتفق البلاغة مع هذه النظرية في خروج الجمل الإنشائية عن دائرة الطلب إلى أغراض نفسية أو ما يصطلح عليه بالأغراض البلاغية؛ كالدّعاء، والاسترحام، والتهديد والتوبيخ، وغيرها من الأغراض النفسية.

وقد ذكر أوستين هذه المسألة في ما أسماه بالإنشاء الأولي، وعند تطبيق أي إجراء تحليلي على التراكيب الخبرية أو الإنشائية وهي في الأصل تراكيب نحوية، خاصة في رحلة البحث عن المعنى والقصد، لا يمكن الفصل بين المباحث النحوية والبلاغية، لأن كلاهما يؤثر ويتأثر.

فالخطاب يحلل وقت ولادته، أي أنه واقع بين أيدينا نتعامل معه كما هو في التحليل دون فصل المقام أو تجاهل المتخاطبين، وهذا الفصل من شأن التحليل البنيوي الشكلي الذي يسعى إلى التقعيد لغايات تعليمية محظة، لبلوغ الكفاية النحوية والصوتية والمعجمية التي تمكن متعلم اللغة من اكتسابها، أما الكفايات الأخرى الكفاية البلاغية والكفاية التّداولية إن صح القول لا سبيل لها ولا قاعدة تضبطها، إنها ملكة تكتسب بالفطنة والذوق اللغوي، الذي يمكن لمبتغيها امتلاكها بتدبر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والموروث العربي من شعر، ونثر .

[1]–ينظر : المرجع السابق، ص 19.

فمعالجة النصوص يتم عبر دراسة الدلالة والتركيب وتأتي التّداولية بوصفها مستوى ثالثا كما قسم بيرس وموريس العلامة اللغوية بصفة خطية، وسنعرض تحت العنوان الآتي تفصيلا أكثر حول الطرق المقترحة لتحليل التراكيب النحوية من طرف المهتمين بمجال تطبيق الإجراءات التحليلية التداولية على التراكيب والنصوص.

4-التداولية والتراكيب النحوية:

الصفة الخطية التي ذكرناها، تعتبر نظرية استمدت أسسها من الوضعية المنطقية في تحليل اللغة، فروّاد هذه النظرية الخطية يقدسون إن صح التعبير مراعاة الترتيب أثناء عملية التحليل اللغوي (تركيب، دلالة ، تداول) وتسمى بالنّظريات المنظومية[1].

وهناك من الباحثين من يصطلح عليها بالنظرية المندمجة، فكل مرحلة تخضع للمرحلة التي قبلها، أنّه تصور مبني على التّدرج، وعدّه التداوليون نوع من التجريد الذي يحرر القول ذهنيا من الفعل الإنجازي.

والبعد التداولي هو الذي يبعث الروح في هذا القول ليجعله ممكن في الواقع وينجز فعلا في العالم، ولقيت هذه النظرية انتقادا من بعض الباحثين، أمثال ديكرو Decro وأنسكومبر J.C) ANSCOMBER) 1983 فقد تبنيّا فكرة دمج التداولية في الدلالة، لأن هناك ظواهر دلالية لا يمكن تفسيرها إلا من منطلق تداولي، مثل بعض الألفاظ الدالة على الزمان و المكان والضمائر

[1]- ينظر: معاذ بن سليمان الدخيل، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية (مقاربة تداولية)، دار القصيم ...ط1 2014، ص53.

والتي تسمى بالإشاريات في البحث التّداولي، فلا معنى لها بعيدة عن التركيب والسياق ولا تدرس إلا في وسطهما .

وظهرت "تداولية مدمِجة"؛ تدمج الدلالة في تحليلاتها وصاحب هذه الرؤية هو سيرل[1] وإذ ينفي روّاد هذه النظرية وجود ترتيب خطي بين التركيب والدلالة والتداولية، فهم يرون أن التداولية مسجلة في بنية اللغة، وتبحث في الدلالة وتطعمها لتشكيل أنماط لغوية تتناسب والاستعمال اللغوي، فاللغة ليست لإيصال المعلومة فقط، بل هي أيضا للتواصل والتأثير والإقناع، فالمكون التداولي يكمل المكون اللغوي[2].

فالمنهج التداولي يولي أهمية بالغة للعلاقة بين التراكيب النحوية ، كما يهتم بالمقام الذي استعملت فيه .

فلا يمكن أثناء عملية التحليل اللغوي فصل البعد الدلالي عن البعد التركيبي فيمكن إنتاج جملة سليمة نحويا ولا معنى لها، أو استبعاد أحوال المخاطبين والسياق العام الذي ألقيت فيه الرسالة، لأن السياق هو من يسيطر على الدلالة و يصبغها كيف ما يشاء فتتلون بلونه.

فاللفظة الواحدة يمكن أن تتخذ عدة دلالات مختلفة بتعدد سياق توظيفها، ولهذا عملية العزل أثناء التحليل للوصول إلى المقاصد ضرب من التغليط ، ويمكن أن نمثل هذه الأبعاد بمثلث أضلاعه : التركيب، والدلالة، والتداولية تحيط به هالة السياق والمقام، فهذا الأخير لا

[1]–ينظر: عامر خليل الجراح، الإجراءات التداولية التأثيرية في التراث البلاغي العربي بين التأويل والحجاج ،دار سنابل ، تركيا ،ط1،2019، ص ص 38–41.

[2]– ينظر: معاذ بن سليمان الدخيل، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية (مقاربة تداولية)، ص45.

يعني بالبعد التداولي فقط بل بالبعدين التركيبي والدلالي، ويمكن القول أن اقتراح الدمج مناسب لكشف المقاصد مهما تنوعت التراكيب اللغوية؛ الإسنادية بأنواعها .

والأساليب الخبرية والإنشائية، والشرطية وغيرها، مع تتبع التغيّرات التي تطرأ على أي تركيب، من حذف، وذكر، وتقديم و تأخير وإضمار .[1]

ومن المباحث النحوية التي اهتمت بها التداولية هي "الحذف من التراكيب النحوية" على مستوى اللفظ، فالنحاة كان لهم السبق في ملاحظة هذه الظاهرة اللغوية التي نعتها ابن الأثير (637هـ) بالتّأليف الشّريف.

فعملية إسقاط الألفاظ من تراكيبها لها دواعيها النحوية والبلاغية والتداولية، فهو ضرب من ضروب الإثراء الدّلالي، وقد اصطلح عليه التداوليون "بالضمني" ويشترط فيه العلم بالمحذوف[2]. فهو ظاهرة جوهرية في الأقوال سواء في الأقوال المباشرة أو غير المباشرة، وسنورد أمثلة عن ذلك في الجانب التطبيقي للأطروحة.

وتتعد الأساليب النحوية في اللغة العربية تحت عنوان عريض (الجمل الأسلوبية): جملة النّداء، وجملة الأمر والنهي والعرض والتحضيض، وجملة الاستفهام، جملة التعجب وجملة الشرط، وجملة القسم .

[1]– ينظر: نعمة ذهش الطائي، الملمح التداولي النحو العربي –تحليل واستنتاج– مجلة العميد، بغداد العدد الثامن ،2012، ص ص457–471

[2]–ينظر: المرجع نفسه ،471.

أ. الجملة العربية وأقسامها:

لم يثبت في بعض الكتب التّراثية لعلم النّحو تعريف مصطلح الجملة، أمثال أئمة النّحو، والزّمخشري، وابن يعيش، وسيبويه وغيرهم من النّحاة، بل قسموا الكلمة إلى أقسام والكلام إلى أقسام أيضا ، وخصّصوا لكل قسم باب و فصّلوا في تعريفاته .

ويعرّف ابن هشام الكلمة (708هـ-761هـ): "الكَلمةُ قولٌ مفردٌ"؛

"القولُ: اللّفظُ الدّالُ على معنى".

"مُفردٌ: ما لا يدلّ جزؤهُ على جزءِ معناه "[1]

أي الكلمة لفظ دال على معنى، متتالية من الحروف لها معنى دال ومدلول، وليس كل متتالية من الحروف كلمة ما لم تدل على معنى؛ وقدّم ابن هشام أمثلة على ذلك في كلمة "زيد "؛ تدّل على اسم شخص، لكن إذا قلبت حروفها "ديز " فلا معنى لهذه المتتالية من الحروف التي كونت لفظ ، دون معنى.

وأما عن أقسام الكلمة فيقسّمها إلى ثلاثة:

"ثمّ قلت: وهي اسمٌ، و فعلٌ، و حرفٌ "

"وقالوا: ودليل الحصر أنّ المعاني ثلاثة : ذاتٌ، وحدثٌ ، ورابطةٌ للحدث بالذّات؛ فالذّتُ الاسم، والحدثُ الفعل، والرّابط الحرف".

[1]-ابن هشام النّحوي، شرح شذور الذّهب في معرفة كلام العرب، تد محمد أبو فضل عاشور، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط 1 ،2001، ص10.

أمّا الكلام فعرّفه "الكلامُ قولٌ مفيدٌ مقصودٌ" ، ...وأمّا المفيد فهو الدّال على معنى يحسُن السكوت عليه، نحو "زيدٌ قائمٌ"، بخلاف "زيدٌ"، أو "الذيّ قام أبوه" فلا يسمى من هذا مفيداً، لأنّه لا يحسُن السّكوت عليه، فلا يسمّى كلاما"[1].

في هذا التّعريف إشارة إلى عملية الفهم والإفهام، فمتى حصل الفهم من الكلام جاز السكوت عليه، فالفائدة هنا إعطاء السامع نصيبه من فهم الكلام، وإذا ما عدنا إلى فعل القول عند كل من أوستين وسورل، وهو التّلفظ بمستوياته؛الصوتي، والتّركيبي، والدّلالي والمعجمي نجد أنه من شروط نجاح فعل القول هي أن يكون لكل من المخاطب والسامع كفاية لغوية للوصول إلى معنى يحسُن السكوت عليه على حد تعبير ابن هشام، أما عن القصد فهو لب نظرية أفعال الكلام و البلاغة العربية ، فقد ربط ابن هشام الكلام بالفائدة القصد.

"و الجملة عبارة عن الفعل وفاعله، كـ قام زيدً، والمبتدأ و الخبر كـ زيدٌ قائمٌ و ما كان بمنزلة أحدهما، نحو ضُرب اللّصُّ، وأقام الزّيدان، و كان زيدٌ قائماً، وظننته قائماً"[2]

فهذا تفصيل في أنواع الجمل، و قسّمها النّحاة إلى جمل «اسمية، وفعلية، وظرفية؛

- ✓ فالاسمية هي التي صدرها اسم، محو"زيدٌ قائمٌ"
- ✓ و الفعلية هي التي صدرها فعل، نحو قام زيدٌ، ضُرب زيدٌ، كان زيدٌ قائماً، و يقوم زيدٌ، و قمْ.

[1]–ينظر: ابن هشام النّحوي، شرح شذور الذّهب في معرفة كلام العرب، ص 19.

[2]– جمال الدين ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تد صالح عبد العظيم الشّاعر، مكتبة الآداب القاهرة ،ط 1 ، 2009، ص 305.

✓ الظرفية هي المصدّرة بظرف أو مجرور، نحو أعندك زيدٌ .

ومرادنا بصدر الجملة، المسند أو المسند إليه، ولا عبرة بما تقدّم عليها من الحروف فالجملة نحو، أقائم زيد، ولعلّ أباك منطلقٌ اسمية، ونحو أقام زيدٌ وإنْ قام زيدٌ فعلية"[1].

فالقصد هنا بالإسناد؛ الإسناد الفعلي والإسناد الاسمي وهما عمدة الكلام في اللغة العربية، وأما اتصال الحروف بهذه الجمل لا يحدث تغيير في نوعها.

و أشار ابن هشام إلى أسماء تأتي في نيّة التّأخير أي حقها أن تتأخر عن فعلها نحو، يا عبد الله تقدير الكلام: أدعو عبد الله، و كذا المفاعيل بأنواعها والتي يجوز لها أن تتقدم على الفعل، مثل قوله تعالى :﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[2] فهذه الجمل فعلية –لأن صدورها في الأصل أفعال– (خلق الأنعام)[3] .

وانتقد إبراهيم أنيس التقسيم الثّلاثي للكلام عند النّحاة القدامى؛ على أنه اسم وفعل وحرف فقال أنه تقسيم فلسفي نتج عن تأثر النّحاة العرب بفلاسفة اليونان وأهل المنطق وحجّته في ذلك أن العرب النحاة شقّ الأمر عليهم في وضع حدّ دقيق لكل قسم، ولن أخوض في هذه الآراء، لأنها تبعدني عن هدف البحث، لكن سأعتمد على كل ما يخدم هدف الدّراسة،[4]

[1]– جمال الدين ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص 306.

[2]–سورة النّحل، الآية: 05.

[3]–ينظر: المرجع السابق، ص 306.

[4] – ينظر: إبراهيم أنيس، أسرار العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ، ط1 ،1966، ص 265

ويقسم إبراهيم أنيس الكلام إلى ثلاثة أقسام، وهي: المعنى، والصيغة، ووظيفة الكلام، ويؤكد أنه من الصعب تحديد كل جزء لوحده، بل يجب دراستها مجتمعة، فمراعاة المعنى مثلا وحده قد يلتبس علينا فقد تكون بعض الكلمات مثل (سامع ومذيع) أسماء وأفعال في وقت واحد[1]، لأن اسم الفاعل يعمل عمل فعله، ويطلب ما يطلبه الفعل من مفاعيل.

وحتى يمكن أن نعتبر المصدر اسما وفعلا في وقت واحد[2]، ففي قوله تعالى:

﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾[3] وصفا وفعلا ومعناهما واحد؛ "حلّ" وفعل "يحلّون" ووظيفتهما في الكلام متّحدة في عملية الإسناد.

أمّا تحديد الصيغة قد يلبس الأمر علينا حين نفرّق بين الأفعال وبين الأسماء والأوصاف التي ترد في اللغة العربية على وزن الفعل، مثل: أحمد، ويزيد، وأخضر، وإذا ما أردنا أن نفرّق بينهم عن طريق وظيفة الإسناد في عملية الاستعمال، فقد نجد اسما مسندا كقولنا : "النّخيل نبات" كلمة النّبات هي المسند و عادة ما يكون المسند إما فعلا أو صفة.

ولهذا يرى إبراهيم أنيس أنّ المحدثين وفّقوا في تقسيمهم للكلام إلى أربعة أقسام، وهي:

1- الاسم:

وتندرج تحته ثلاثة أنواع:

أ. **<u>الاسم العلم:</u>** وهو الإسم الكلي،مثل: شجرة،كتاب،مدينة...إلخ، وتتصل بأداة التعريف (الـ)

[1]- ينظر :المرجع السابق ص 265.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، صفحة نفسها.

[3]-الممتحنة ، آية(10)

ب. **العلم:** و يدل على ذات مشخّصة، وقد ينتقل إلى وصف من أوصاف اللغة؛ كاسم حاتم مثلا يدل على صفة الكرم في الثقافة العربية أو عنترة الذي اشتهر بالشجاعة والفتوّة أو العربي بن مهيدي والذي اشتهر بين أوساط شعبه بجهاده ووطنيته فاستشهاده فيسمي من تأمل في مولوده هذه الصفات بهذه الأسماء والتي تتحوّر إلى أسماء أعلام في المجتمع اللّغوي ، أي على الصّفة التي اشتهر بها هذا الشّخص .

ج-الصّفة : أو النّعت، مثل، كبير، أخضر ...إلخ

2- **الضمائر:** وهي الضمائر المعروفة في كتب النحو؛المنفصلة، مثل:أنا،أنت،هو...إلخ وضف إلى ذلك ألفاظ الإشارة والموصولات والأعداد وهذه عبارة عن رموز لغوية يتفادى بها المتكلم التكرار، ولكل منها استعمالها الخاص .

3- **الفعل** :القسم الثّالث من أجزاء الكلام، وهو الرّكن الأساسي في معظم اللغات [1]،

أما وظيفته في الجملة فهي إفادة الإسناد، وتشترك الصفة معه في هذه الوظيفة كما سبق الذّكر، وهو حدوث الفعل في زمن معين ولو أن المصدر يشترك معه في الحدث والزمن كما أشار النّحاة، لكن هناك علامات خاصة بالفعل فقط وهي إمكانية دخول (قد، وسوف، والسين) وضمير الرّفع المتصل [2].

[1]-إبراهيم أنيس، أسرار اللغة، ص277.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

و حدّ الفعل عند ابن هشام "ثمّ قلت:والفعل إمّا ماضٍ، وهو ما يقبل تاء التّأنيث الساكنة؛ كـ قامت وقعدت، ومنه نعم، وبئس، وعسى، و تعال، أو مضارع، نحو : يقبل ، ولم يقمْ، وافتتاحه بحرف من نأيْت ، مضموم إن كان الماضي رباعيا، نحو: أُدحرج ، ومفتوح في غيره، نحو: أَضرب "[1].

4- **الأداة:** وهي ما يسمى عند النّحاة العرب بالحروف (حروف الجرّ، والعطف وغيرها من الحروف.[2]

فهذه الأجزاء تتحد وتنظمّ لتكون بنية الجملة العربية و تنشأ تركيب لغوي سليم يؤدي معنى مفهوم و فائدة مرجوة للسامع، و قد وضع النّحاة جملة من القواعد

والشروط يتوخاها المتكلم في عملية بناء التراكيب اللغوية، كمراعاة الترتيب والمعنى والكفاية بكل مستويات الظاهرة اللغوية.

"إنّ الجملة لابدّ أن تفيد معنى ما، وإلاّ كانت عبثاً...و يقول سيبويه :ألا ترى أنّك لو قلبت إن يضرب يأتينا، و أشباه هذا لم يكن كلاما "، فلابد أن تؤدي الجملة معنى مقبولا

ومن ذلك أن لا يكون المعنى مبتذلا، معلوما كقولنا: اللّيل مظلم، والنّهار مضيء، والثّلج بارد فيرى النّحويون أن هذا الكلام لا فائدة مرجوة منه، فهو معلوم للسامع[3] .

---

[1]- ابن هشام النحوي، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تد محمد أبو فضل عاشور، ص15.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص278.

[3]-ينظر: فاضل صالح السامّرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2000، ص 7.

لأنّ الغرض من الكلام الإفصاح والإظهار، فعلى المتكلم أن يعطي للمخاطب قدر حاجته، لا زائد عنها، لكي لا يكون عبثاً، ولا مبتذلا معروفا، ولا ناقصا لكي لا يخلّ بالمعنى[1].

ونلمح هذا الشّرط في قواعد للمحادثة في نظريته (الاستلزام التّخاطبي أو نظرية المحادثة) لبول غرايس في مبدأ التّعاون مع مسلّمته حوارية الأولى، وهي مسلّمة القدْر (Quantité) أي الكمية، أن تجعل كلامك يفيد القدر المطلوب من الإخبار.

فالجملة الخبرية "الليل مظلم"، لا يرجو المتكلم منهما تغيير واقع أو إنجاز فعل و فائدة للسامع فهي معلومة لديه، أمّا لو افترضنا استعمال هذه الجملة في سياق معيّن فهو الذي يحدّد وظّيفتهما في الاستعمال، كأن يقول الصديق1 في المثال:

–أ–: لنخرج هذا المساء

ب–الصّديق 2:اللّيل مظلم

فنلاحظ أن القول في المثال –ب–فعلا لغويا مباشرا تواكبه قوة إنجازية واحدة، وهي دعوة الصديق 1 الصديق 2 إلى الخروج

أمّا الجملة –ب– فقد أنجز بها الصديق 2 فعلين لغويين : أحدهما مباشر وصفي، والآخر غير مباشر وهو رفض الدعوة و الخروج ليلا لأسباب.

[1]–ينظر: السيد أحمد الهاشمي، تح الشيخ أحمد جاد، جواهر البلاغة، دار الغد الجديد ، القاهرة ، ط1 ،2016 ، ص 35.

وهذا ما أطلق عليه سورل الإنجازات المعقّدة؛ ويقصد بها إنجاز المتكلم جملة تلازمها قوّتان إنجازيتان على الأقل، قوة إنجازية حرفية، وقوة إنجازية مستلزمة مقاميا أو ما يقصد به سورل، الفعل اللغوي المباشر، والفعل اللغوي غير المباشر.

و يمكن أن يقصد المتكلم بالليل مظلم، أنّه يعبر عن خوفه للسامع ويدعوه لعدم الخروج مثلا، فعوض أن يقول له أحذّرك من الخروج في ليل مظلم، والنّهار مضيئ قد تكون جملة خبرية صادقة لأنها لا تعارض الواقع هي وسابقتها معلومة لدى السامع، وقد تكون ألقيت لإنجاز فعل القول و فعل التّأثير.

قد يكون الكلام ليس غرضه إفادة المخاطب، بل من أجل الإفصاح عمّا في النّفس من شعور ومعان إظهار العجز أو الضعف، أو التعجب، أو التّعظيم، أو الحزن

ومثال على ذلك قول الله تعالى على لسان زكرياء عليه السلام﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[1]، فالغرض من الآية الكريمة إظهار الضعف لزكريا عليه السلام.

وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[2] فالغرض البلاغي هو الأسف والعجز.

[1]سورة مريم، الآية (4)

[2]–سورة آل عمران، الآية : 36.

فهذه الأغراض البلاغية كلّها هي القوة الإنجازية للقول، فالآيتان الكريمتان تقريريتان، خبريتان، ولهما قوة إنجازية، يتضمنان قولا مباشرا، وهو الإخبار، وقولا غير مباشر، وهو إظهار حالة كل من زكريا عليه السلام، وأم مريم عليها السلام حنة.

والجمل التي يطلب المسلم من خلالها الثّواب من الله عز وجلّ، نحو، التّسبيح (سبحان الله و بحمده)، والتّهليل (لا إله إلاّ الله)، و كل جمل الذّكر.[1]

و أن لا يكون الكلام متناقضا، نحو قولنا "ليس لأخ زيد أخ"، و قد منع النّحاة بعض التّراكيب من ذلك، نحو"ما قمت إلاّ قياما"، و "ما عاث إلاّ مفدا " لتناقضه بالنّفي والإثبات.

أن لا يؤدي التّعبير إلى المحال، كأن تقول :"صلّى جميع الخلق الجمعة الماضية في هذا المسجد" فإن أريد به حقيقة فهذا محال، وإن أريد به المبالغة في التّعبير "بإطلاق جميع الخلق" على قسم ممن تصح لهم الصّلاة فهذا جائز، ومن المحال أن يقول أحدهم دهسته سيّارة : "والله لو كنت مت لشكوت صاحبها إلى الحاكم" فهذا لا يجوز[2].

ولو تأملنا القاعدة الرّابعة (أن لا يكون الكلام متناقضا) لا نجدها في المسلّمات الحوارية لمبدأ التّعاون، ويمكن أن نعتبر القاعدة الخامسة (أن لا يؤدي التّعبير إلى المحال)قريبة من مسلّمة الكيف والتي مضمونها "لا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه".

[1] - فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية، ص 9 .

[2] -ينظر : المرجع نفسه ، ص 10 .

فالجملة العربية في أقصر صورها أو أطولها، تتركّب من ألفاظ هي مواد البناء التي يلجأ إليها المتكلّم، لتكوين كلام مفهوم، نطمئن إليه ولا نرى فيه خروجا عمّا ألفناه في تجارب سابقة[1].

ويعتبر النحّاة أمثال ابن هشام والسّيوطي إطلاق الجملة على الوقعة شرطا وجوابا أو صلة، إطلاق مجازي كون أنها في الأصل جمل، فاعتبار ما كانت عليه سميت جمل كما أطلق اليتامى على البالغين في القرآن الكريم والتي هي مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان[2]وتتكون الجملة العربية من عنصرين أساسيين، هما: المسند، والمسند إليه، ويسمّيان العمدة، أمّا ما زاد عنهما فيصطلح عليه النّحاة الفضلة. "فحدّ الجملة القول المركّب ..."[3]

و يقصد الإسناد الاسمي أو الإسناد الفعلي.

1-الجملة الإسمية، أو الإسناد الإسمي: ذكر سيبويه في "الكتاب" باب المسند والمسند إليه :"و هما ما لا يَغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدّا، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنيُّ عليه، وهو قولك عبدَ الله أخوك، و هذا أخوك ."[4]

---

[1]- ينظر :إبراهيم أنيس، أسرار العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ،ط1 ،1966، ص 262.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- جلال الدين السيوطي، همع العوامع في شرح جمع الجوامع، تح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1998، ص 49.

[4]- سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط3، 1988، ص23.

ويقصد سيبويه في هذا القول الإسناد الاسمي أي الجملة الاسمية، أمل المبنيُّ عليه فهو الخبر، فلا يستغني كلاهما عن الآخر .

أمّا عن الإسناد الفعلي أي الجملة الفعلية فيقول:

" ومثل ذلك: يذهبُ عبدُ اللّه، فلا بدّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بدّ من الآخر، في الابتداء "[1].

فسيبويه هنا يقصد الفعل الناقص، نحو كان وأخواتها ، فلا يكتمل معنى الكلام دون اسم بعدها، والذي في الأصل هو " مبتدأ"، وهي التي صدرها الاسم كما اصطلح عليها النّحاة، وهي التي تدل على الدّوام والثّبوت.

وقسّمها ابن هشام إلى قسمين، هما : الصغرى ، والكبرى؛ فالكبرى هي التي خبرها جملة، والصّغرى هي المبنية على المبتدأ، وقسّم الباحثون المعاصرون الجملة أيضا إلى قسمين بحسب تموقع المسند والمسند إليه ؛ فحق المسند إليه التّقدم وفي هذه الحالة يكون التّركيب عادي، وإن تأخرّ المسند إليه فلأغراض بلاغية كتوجيه المخاطب إلى المعنى المقصود، وتتكوّن من عنصرين أساسيين؛

1.**المبتدأ:** و هو الاسم المرفوع له الصدارة في الكلام غالبا، وهو نوعان؛ اسم صريح معرفة أو نكرة. ومؤول بالصريح.[2]

---

[1]– سيبويه، الكتاب، ص23.

2– ينظر: ميلود منصوري، دلالات التّراكيب في نحو الجملة، دار أم الكتاب، مستغانم، ط1، 2013، ص ص،157–161

2.**الخبر**: وهو ما تحصل به الفائدة، وهو نوعان؛ مفرد، وجملة بأنواعها؛ فعلية واسمية، وشبه جملة (الظرف، والجار والمجرور) فاستعمال الخبر بأنواع يعود إلى المتكلم، فيوظّف الاسم إن أراد أن يخبر عن معنى ثابت؛ لكن هذه المسألة نسبية فليست كل الأسماء لها دلالة ثابتة كالصفة العارضة مثلا، أو كالاسم الذي له بداية ونهاية، مثل (منطلق) .

ومن الأسماء ما لها دلالة ثابتة، مثل (طويل) وهي صفة خَلْقِية، ويوظّف الفعل إن أراد أن يخبر عن معنى متجدّد، ويوظف الجار والمجرور إن أرد تخصيص، أما عن عمليّات التقديم والتّأخير والحذف والذّكر فلها دواعٍ نفسية و مقامية وظروف إنتاج الخطاب وأحوال المخاطَب.[1]

أماّ العامل في المبتدأ و الخبر فهو عامل معنوي (الرّفع بالابتداء)، وإذا سبقهما عامل لفظي يعمل فيهما النّسخ (تغيير ملامح المعمول من نصب و رفع ، بالنواسخ) ويجعلهما شيئا آخر، والمبتدأ لا يكون جملة فهو كلمة واحدة ، وإذا وُجد مبتدأ على هيئة جملة، فهي كلمة واحدة باعتبارها جملة محكية، مثال : لا إله إلاّ الله خير ما يقول مؤمن .لا إله إلاّ الله : مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها حركة الحكاية.

2-الجملة الفعلية (الإسناد الفعلي): وهي الجملة التي تبدأ بفعل تام يدل على حدث، لا بد له من فاعل، فالجملة الفعلية لها ركنان أساسيان هما، الفعل والفاعل.[2]

[1]-ينظر: ميلود منصوري، دلالات التّراكيب في نحو الجملة، دار أم الكتاب ، مستغانم، ط1، 2013 ، ص ص،157-161

[2]-ينظر: عبده الرّاجحي، التطبيق النّحوي، دار المسيرة، عمان، ط 1، 2008، ص ص106، 191.

3- **شبه الجملة:** وهو المتعلق المحذوف لكل من الظرف والجار والمجرور، فإذا دلّ على وجود مطلق ككلمة موجود وكائن أو مستقر وجب حذفه لفقدان الفائدة من ذكره، أما إذا كان دلّ على وجود مقيد بصفة، وجب ذكره، مثل زيد نائم في البيت.

والكلمة داخل البناء لها وظيفتها التركيبية، والدلالية، والتداولية؛

أ. وظائف تركيبية:

- ✓ المبتدأ: يبنى عليه الكلام، و الخبر، هو المبني على المبتدأ.
- ✓ الفاعل: يبنى عليه الفعل المقدم عليه، ويشاركه نائب الفاعل
- ✓ المفعول به :يحتاج إليه إذا كان الفعل متعدياً.

ب. وظائف دلالية:

- ✓ الخبر: يصير به المبتدأ كلاماً تاماً.
- ✓ الفاعل : من قام بالفعل .
- ✓ المفعول: به ما وقع عليه فعل الفاعل .
- ✓ المفعول المطلق : يؤكّد الفعل ، أو يبيّن نوعه ، أو عدده.[1]
- ✓ المفعول لأجله: علّة الفعل.
- ✓ المفعول فيه:زمان أو مكان الفعل.
- ✓ المفعول معه : بعد واو المعية.

[1]- ينظر :عبد الحميد السيّد ، دراسات في اللسانيات العربية –بنية الجملة العربية ، التراكيب النحوية ، و التداولية– ، دار الحامد ،عمان ،2003، ص12.

فهذه الوظائف؛ التركيبية ، والدلالية، والتّداولية تتظافر فيما بينها لتكشف المعنى الظاهر والمعنى الباطن للكلمة ضمن تعدد استعمالاتها في السياقات المختلفة .

الفصل الثالث: البعد التّداولي في سورة مريم

المبحث الأول :سورة مريم (تعريفها، ترتيبها، تفسيرها)

المبحث الثاني :الأبعاد التّداولية في سورة مريم

1. **البعد التداولي للمستوى الصوتي**
2. **البعد التداولي للمستوى الصرفي**
3. **البعد الدلالي للمستوى الدلالي**

المبحث الثالث : الفعل المباشر وغير المباشر في سورة مريم

لقد أعجز الله عزل وجل البلغاء والفصحاء بكلامه المبين في الوقت الذي كثر فيه المبارزات اللغوية بين الشعراء والبلغاء، فظنت العرب في وهلة أنّهم أفصح خلق الله على وجه الأرض و لن يؤتى بكلام فصيح وبليغ مثل كلامهم، فقد أعياهم القرآن الكريم بإعجازه الأدبي والعلمي، والتربوي، وكل ما يتعلق بالإنسان في الدنيا والآخرة، من الأحكام الشرعية، والحلول الجذرية لشتى مشاكل المسلم، فهو منهاج حياة لمن فهم مقاصده ومعانيه .

" وسيظل كتاب الله غضا طريا، وبحرا زاخرا باللؤلؤ والدّر والمرجان، لكنّه مُشرع الأبواب مهما قرأه القارئ و أعاده ، فسيظفر في كل مرّة منه بعجائب من عجائبه التي لا تنقضي كما قال سهلُ بن عبد الله:" لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودع الله في آياته من كتابه ...و إنّما يفهم كلّ بمقدار ما يفتح الله على قلبه ..."[1]

ولا يمكن الوصول إلى معاني القرآن الكريم إلاّ بالتّمكن من اللغة العربية وعلومها نحوا، وبلاغة ، وصرفا ، ودلالة، فهذه العلوم ضرورية لفهم كتاب الله عز وجل .[2]

ويتفق الباحثون في مجال اللغة أن الأصوليين لهم السبق في عملية البحث عن علاقة اللغة بالقرآن الكريم، فقد وضعوا منهجا دقيقا لتحديد المعنى، سبقوا به المحدثين بل وتفوّقوا معهم في ذلك، فاهتموا بالمنطوق والمفهوم.[3]

[1]– العايد صالح بن حسين ، نظرات لغوية في القرآن الكريم ، دار كنوز إشبيليا ،الرياض ، ط2 ، 2004، ص12.

[2]–ينظر: المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

[3]–ينظر : حمدي بخيت عمران ، أثر اللغة في الاستنباطات الشرعية ، مكتبة الكويت ، الكويت ،2011، ص13.

وركّز علماء التراث العربي على العلامة في القرآن الكريم بالتّأمل والتّدبر والتّفكر في معانيها بكل أبعادها الروحية والعقائدية والاجتماعية واللسانية، وهذا من أجل تفسير دلالتها والاستدلال بحاضرها على غائبها، فهي حقيقة حسية حاضرة تحيل إلى حقيقة مجردة غائبة، كما يقول القاضي عبد الجبّار(415هـ) "إنّ من حق الأسماء يعلم معناها في الشاهد، ثم يبنى عليه الغائب"[1].

والقصد بالشاهد هو الحاضر الذي نعلمه وندركه بحواسنا، أما الغائب ما غاب عن هذه الحواس أي اللامحسوس، وهذا في باب الفقه، أما عن ذكر أحمد الحساني لهذا المثال فلاستثماره في المجال اللغوي، فيما يسمى بالقياس اللغوي .

ولعلّ الباحثة ركّزت في هذه الدراسة على اجتهاد الأصوليين في فهم وتفسير القرآن الكريم، أولا لأنّه كلام الله عز وجل، فالباحث يتوخى الحذر اللازم وهو يتعامل مع القرآن الكريم فيكون برفقة علمائنا الأجلاء، علماء التفسير والأصول والفقه، وجهابذة النحو والبلاغة خاصة في تطبيق المناهج اللسانية الحديثة على النص القرآني.

ثانيا التداولية اهتمت بالصريح والمضمر (الفعل المباشر والفعل غير المباشر) وهذا مبدأ علماء الأصول في مسألة المنطوق والمفهوم، فالقصد ليس المقارنة، ولكن المقاربة بين التراث والحداثة.

[1]– أحمد حساني ،مباحث في اللسانيات ،ديوان المطبوعات الجامعية ،1999،ص139

فقد اجتهد الباحثون المحدثون في تطوير آليات التحليل اللغوي مستندين على الدراسات اللغوية التراثية والنظريات اللسانية الحديثة التي اهتمت بتحليل الخطاب في شتى مستوياته، فاتفق أغلبيتهم على أن المنهج التداولي هو النهج المناسب للوصول إلى المعنى ومقاصد المتكلمين، ودراسات لا تعد ولا تحصى طُبّقت على الخطاب القرآني، خاصة نظرية أفعال الكلام، والتي أجمع التداوليون العرب أنها نظرية الخبر والإنشاء في البحث اللغوي العربي والتي سنرصدها في هذه السورة القرآنية الكريمة.

في تحديد القول الصريح والقول المضمر أي الفعل المباشر وغير المباشر في الجمل الخبرية والجمل الإنشائية.

ونتتبع أبعاد التداولية في كل من المستويات اللغوية؛ المستوى النحوي التركيبي والمستوى الصوتي، والمستوى الدلالي عبر شواهد من الذكر الحكيم لسورة مريم، إلا أن الجانب التداولي للمستويين الصوتي والصرفي، لم تجد الباحثة دراسات تستند عليها فلعله طرح فيه من الجدة ما فيه، وكما أشرت في مقدّمة البحث، أن البعد التداولي للمستوى الصوتي لا يوجد له في ساحة البحث التداولي أما البعد الصرفي .

فقد صادفت الباحثة دراسة واحدة فقط حديثة النّشأة، لكن للأسف لم تتمكن من الحصول عليها لعدم نشر الكتاب بعد، لكن محاولة استنطاق الصيغة الصرفية والصوت اللغوي واردة في التّراث اللغوي العربي، خاصة في علمي الأصول والتفسير، فمحاولاتهم في الكشف عن

المعنى كانت محاولات ناضجة وأصيلة، أجمع المعاصرون اللغويون أنها ممارسات تداولية بامتياز.

المبحث الأول: سورة مريم

1-التعريف بسورة مريم :

سورة مريم، مكّية، "إلاّ آيتي (85)، و(71) فمدنيتان"[1] ورقمها في النّزول أربعة وأربعون (44)، وترتيبها في المصحف الشريف تسعة عشر (19)، نزلت بعد سورة فاطر، وقبل سورة طه، عدد آياتها ثمانية وتسعون(98)، ويبلغ عدد كلماتها (1192) كلمةً، وعدد حروفها (3805) حرفاً.[2]

واختلف في تفسير: (كهيعص)، فقال أكثر أهل اللغة: إنّها حروف التّهجي على الابتداء بالسورة، نحو (الم)، و(الر) وقيل إنّ تأويلها أنّها حروف يدّل كل واحد منها على صفة من صفات الله –عزّ وجلّ– "فكاف" يدل على كريم، و"ها" يدلّ على عالم، و"صاد" يدلّ على صادق .[3]

"وروى سعيد بن جبير عن أبي العباس أنّه قال في "كهيعص" : هو كاف، هاد يمين، عزيز صادق "[4].

---

[1]–عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدّمشقي ،تفسير القرآن العظيم ، تع هاني الحاج ، دار التوفيقية للطباعة ، مصر، ط 11،2013 ، ص133

[2]ينظر : سيّد إبراهيم سيد ناصر ،سورة مريم دراسة لغوية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرّمة ، ج1 ، 1989،ص11

[3]– أبي إسحاق إبراهيم الزجاجي، تع عرفان بن سليم ، المكتبة العصرية – صيدا– بيروت ، ط1 ،2006، ص 65

[4]– ابن منظور، لسان العرب، ص 15

"و زعم قطرب أنّ "الر"، و"الم" ، و"آلمص"، و "كهيعص"، وغيرها من هذه الحروف المتقطّعة ، حروف معجم لتدلّ أنّ هذا القرآن مؤلّف من هذه الحروف المقطّعة ...ليدلّ القوم الذّين نزل عليهم القرآن الكريم، أنّه بحروفهم التي يعقلونها لا ريب فيه"[1].

أما عن تسمية السورة "بسورة مريم" فقد ذكر علماء التفسير أنه لم يرد في القرآن الكريم ذكر اسم امرأة إلا اسم السيدة مريم عليها السلام في ثلاثين موضعاً، وسبب التصريح باسمها يرجعه العلماء إلى أنى العرب قديما تنكر التصريح بأسماء زوجاتهم علانية .

فالله عز وجل ما كان ليخاطب قوما إلا على قدر عقولهم و حسب أحوالهم ، فذكر اسم مريم في القرآن الكريم ردا على مزاعمهم أن مريم زوجة الله ، فكيف للعظيم أن يصرح باسم زوجته ، وهذا رأي جل علماء التفسير[2].

2-سبب النزول:

وهو تأخر جبريل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم، حينما سأله أصحابه عن قصة أصحاب الكهف، وذي القرنين، ولذلك رجا النبي صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل أن يأتيه جبريل عليه السلام بالوحي بشأن ما طلبه منه أصحابه،[3] ويقول الإمام السيوطي في ترتيب هذه السورة الكريمة :

---

[1]-المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

[2]-ينظر : حاشية أحمد الصاوي المالكي على تفسير الجلالين، مطبعة الأزهر الشريف، مصر ،ج 3، ط 1 ،1926، ص26.

1-جلال الدين السّيوطي، تناسق الدّرر في تناسب السّور، تح عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1، 1986، ص101.

"ظهر لي في مناسبتها لما قبلها: أن سورة الكهف اشتملت على عّدة أعاجيب؛ قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى مع الخضر ...وقصة ذي القرنين، وهذه السورة فيها أعجوبتان: قصة ولادة يحي بن زكريا وقصة ولادة عيسى بن مريم، فناسب تتليهما وقيل إن أصحاب الكهف من قوم عيسى ... "[1]

أما عن فاتحة السورة فيقول:" أنّ السورة بُدئت بذكر الرحمة؛ الآيتان(1-2) وختمت بها الآية (96)."[2]

فقد تجلّت رحمة الله عز و جل في عدّة مواضع من هذه السورة الكريمة:

- رحمة الله بزكرياء فقد وهب له بعد الكبر الولد الصالح "يحي"
- رحمة الله بيحي إذ جعله تقيا زكيا، ورحمة الله بإبراهيم عند حفظه عن السجود للصنم رغم أن والده صانعها، و تنزهه من عبادة الأوثان والكواكب.
- رحمة الله بعباده المؤمنين وبالجزاء الأوفر الذي ينتظرهم في جنة النعيم. رحمة الله بمريم منذ ولادتها إلى وفاتها و ذكر اسمها في القرآن الكريم، واصطفائها على نساء العالمين[3] .

[1]-المرجع السابق ، ص101.

[2]- جلال الدين السيوطي، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ، تح عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر ،مكتبة دار المنهاج ، ط1، 1099،الرّياض، ص 54.

[3]--ينظر : سيد إبراهيم سيّد إبراهيم سيد ناصر، سورة مريم دراسة لغوية ، ص 12.

أما عن التّناسب في القرآن الكريم الذي ذكره السيوطي يكون في عدّة أوجه؛ قد يكون التناسب في السور بين المفتتح والخاتمة في السورة، وقد يكون التناسب بين خاتمة السورة ومفتتح السورة التي تليها[1].

– أوّلا سننظر إلى خاتمة السورة التي قبل سورة مريم وهي سورة الكهف .

يقول عز وجل :﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[2] وفي مُفْتَتَح سورة مريم، يقول عز وجلّ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾[3]؛ ففي الآية الأولى رحمة الله بكثير من عباده، وفي الآية الثانية، رحمة الله بعبده زكرياء .

وقال الله تعالى في خواتيم سورة الكهف﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[4]،

وقد سمى الله عز وجل عيسى بن مريم "كلمة" في قوله تعالى:﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[5].

فحلقة الوصل بين السورتين رحمة الله تعالى بعباده؛ فقد رحم أصحاب السفينة ورحم الأبوبين المؤمنين، ورحم الغلامين اليتيمين بحفظ كنزهما، ورحم القوم الضعفاء من يأجوج

[1]–ينظر: فاضل صالح السّامرّائي، التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، دار ابن كثير، دمشق ،ط1، 2016، ص6.

[2]–سورة الكهف، الآية: 98.

[3]–سورة مريم ،الآية: 2.

[4]–الكهف، الآية: 109.

[5]–آل عمران، الآية: 45.

ومأجوج المفسدين في الأرض، ورحم الفتية أصحاب الكهف ورعاهم، ومن أوجه التّناسب بين السورتين، اتخاذ الفتية الكهف ملجأ لهم للفرار من قومهم، وكذلك مريم عليها السلام التجأت إلى جذع النخلة بعيدا عن النّاس، أما عن معجزات السورتين فنجد معجزتين ربانيتين، وهما، خروج الفتية بعد ثلاثمائة سنين وتسع من الكهف، وولادة عيسى عليه السلام من غير أب، وأيضا القَصَص العجب الذي ورد في السورتين ففي سورة الكهف قصة موسى مع الخضر، وقصة ذي القرنين، وفي سورة مريم قصة ولادة يحي من شيخ كبير "زكرياء" عليهما السلام والعجوز العاقر، وولادة عيسى من غير أب[1].

– ثانيا: التّناسب بين مفتتح السورة وخواتيمها: فاتحتها رحمة و خاتمها رحمة الله التي وسعت كل شيء.[2]

– ثالثا: التناسب بين خاتمة سورة مريم و فاتحة سورة طه التي تليها فيقول عز وجل:

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾[3] في خواتيم السورة،

–و في بداية سورة "طه" يقول عز و جل :﴿طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾[4]

فالمقصود من الآيتين هو القرآن الكريم

---

[1]–ينظر : فاضل صالح السّامرّائي ،التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، ص114.

[2]–ينظر :المرجع نفسه، ص6.

[3]–مريم، الآية:97.

[4]–طه ، الآيات:1–2–3.

– خواتيم سورة مريم :قال الله تعالى :﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾[1]

– بدايات سورة "طه "قال الله تعالى: ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾[2]

فالتناسب واضح بين الآيتين الكريمتين، لله ما في السموات وما في الأرض. "ومريم في اللغة: العابدة والخادمة، وذكر اسمها في أربع وثلاثون موضعا من القرآن الكريم، ولم يسم في القرآن غيرها من النّساء، وهي من فضليات النساء؛ حواء، وآسية، وأم موسى، وسارة، وهاجر، ومريم"[3]، والدتها "حنّة إمرأة عمران "التي نذرت ما في بطنها لخدمة بيت المقدس والدليل من القرآن الكريم قوله تعالى:﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[4].

فمطلبها من ربها أن يتقبل نذرها لما في بطنها، محررا أي حرا لا تربطه بها، ولا تربطه برعايتها، كما كان يفعل قومها، بل تريده لخدمة البيت المقدس، ظنا منها أنه ولد وهذه مهمة الذكور، والنذر أمر أريد به الطاعة فوق تكليف ما كلف المكلف، من جنس ما كلف المكلف، على سبيل المثال فرض الله عز وجل صوم شهر في العام، فينذر المسلم صوم يومي الإثنين والخميس فرض عليك هذا الصيام.

---

[1]–مريم ،الآيتان: 93–94.

[2]–طه ، الآية: 6.

[3]– ينظر :سيد إبراهيم سيّد إبراهيم سيد ناصر ، سورة مريم دراسة لغوية ، ص 1.

[4]– سورة آل عمران، الآية: 35.

ومن هنا جاءها الردّ من الله تعالى من جنس ما سألت، ودليلا على إخلاصها في مطلبها.[1]

قال الله تعالى :﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2].

والقبول هو أخذ الشيء برضا، والحسن شيء فوق الرضا، فكانت مريم عليها السلام تحت التربية الرّبانية وهي في بطن أمّها.[3]

كفالة زكريا لمريم (عليهما السلام):كان زكريّا عليه السلام متزوجا من "إيشاع " أخت "حنة" والدة مريم عليها السلام، فهو زوج خالتها، ولما اختلف القوم في كفالة مريم، وكل واحد منهم كان يريد كفالتها، اتخذوا من القرعة حلا لهم[4].

ويقول الله تعالى:﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[5].

---

[1]–ينظر: محمد متولي الشعراوي ، مريم و المسيح ،مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، دط، 1982، ص ص11–13.

[2]سورة آل عمران، الآية: 37.

[3]–محمد متولي الشعراوي، مريم و المسيح ، مكتبة التراث الإسلامي، ص13.

[4]– ينظر: المرجع نفسه، ص18.

[5]–سورة آل عمران، الآية: 44.

3- موضوعات سورة مريم عليها السلام:

الموضوع الأصلي للسورة الكريمة فهو:

1- التوحيد ونفي الولد والشريك في قوله تعالى:﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1] و أيضا من الآية رقم 88 إلى الآية رقم 95

2- الإلمام بقضية البعث وجزاء المؤمن، ونهاية الكافر مثال في قوله تعالى:﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾[2] من الآية 96 إلى الآية 98 و ذكر بعض مشاهد يوم القيامة .[3]

4- **مادّة السورة هي: القَصَصَ ؛**

1- قصة زكريا، و يحي عليهما السلام : من الآية (2) إلى الآية (15).

2- مريم و عيسى عليهما السلام : من الآية (16) إلى الآية (40).

3- جانب من قصة إبراهيم مع أبيه و قومه، و رزقه ذرية صالحة: من الآية (41) ، إلى الآية (50).

4- قصة موسى وهارون: من الآية (51)إلى الآية (53).

5- قصة إدريس و صفات الأنبياء عليهم السلام: من الآية (56)إلى الآية (58).

و كذلك ذكر الجدال بين المنكرين، و استعراض مصارع المكذّبين في الدّنيا

[1]-سورة مريم آية :35.

[2]-سورة مريم آية :68.

[3]- ينظر: محمد متولي الشعراوي، مريم و المسيح ، مكتبة التراث الإسلامي، ص11.

و الآخرة.

وأمّا **الجوّ المسيطر** هو ظل الرحمة والرضا والنعمة : حيث يتكرر ذكر "رحمة" حوالي عشرين مرّة، أربع مرات بلفظ المصدر وست عشرة مرّة بلفظ: الرحمان، أمّا النعمة فتمثّلت في الحنان والزّكاة، والتّقوى التي أنعمها الله تعالى على يحي عليه السلام، وعلى عيسى في برّه بوالدته و بُعده من أن يكون جبّارا شقياً.[1]

[1]– ينظر :سيّد إبراهيم سيّد ناصر، سورة مريم دراسة لغوية، ص 11.

المبحث الثاني: الأبعاد التداولية في سورة مريم

1-البعد التداولي للمستوى الصوتي لسورة مريم :

إن التحليل الصوتي للنصوص يُسهم في فهم طبيعتها، و رصد الجانب الجمالي فيها، وحتى الانفعالات التي تجعل مستعملها يختارها بعناية، كالمدّ، أو الغنّة، أو الشدّة ، أو اللين، فمسألة الإبداع الأدبي والفنّي مرهونة بقدرة منشئها في توظيف هذا التّنويع الصوتي، لأنّها تدعم المعاني وتزيدها قوة تعبيرية فذة [1]، "فقد ثبت علميا أنّ للصوت اهتزازات محسوسة في موجات الهواء تنطلق من جهة الصوت، وتذبذب من مصانعه المصدرة له، فتسبح بالفضاء حتى تتلاشى ،يستقر الجزء الأكبر منها في السمع بحسب درجة تذبذبها، فتوحي بدلائلها فرحا، أو حزنا، أو نهيا، أو أمرا ، خبرا... أو شيئا عاديا مما يفسره التشابك العصبي في الدّماغ "[2]، وهذا القول دليل على أن دلالة الكلمة لا تكون من معناها المعجمي أو حتى السياقي فحسب بل من طريقة النطق بها وتنغيمها هنا نتوقف قليلا لنتأمل في قدرة الصوت على كشف المعاني والمقاصد الخفية والتي تعجز الدلالة عن تفجيرها، إنها قوة مضمرة في الصوت وفعل غير مباشر للكلمة وقد ذكرت الباحثة أهمية الربط بين مستويات اللغة في عملية التحليل، بدءً بالمستوى الصوتي، فهذا المستوى اللغوي له جاذبيته الخاصة في أسر النفوس واستمالة حاسة

[1]-ينظر: معين رفيق أحمد صالح، دراسة أسلوبية في سورة مريم ،أطروحة دكتوراه، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين ،2003، ص04.

[2]-محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت لبنان، ط1،2000،ص 14.

السمع والذوق الفني، ولا يخفى على أحد أن نبرة الصوت تكشف أسرار قد تعجز اللغة عن احتوائها، فنبرة الصوت جبرية تفضح صاحبها و تفجر أحاسيس السرور والحزن والرضا، والغضب، والسخط وغيرها من المشاعر، وخير دليل نجده في الشعر من إيقاع موسيقي يتلون بتلوّن نفسية الشاعر.

ولإيقاع القرآن الكريم طريقته الخاصة التي تختلف عن الشعر المقيّد بالأوزان والقوافي، فهو إيقاع في نطاق التوازن، لا إيقاع في نطاق الوزن، فالوزن في العربية للشعر...والذي في القرآن الكريم إيقاع متوازن لا موزون.

فالقرآن الكريم أصواته متناغمة مع معانيه، حيث يؤدي دورا فعالا في إثراء المعنى . والإيقاع هو ظاهرة صوتية على مسافات زمنية محددة النسب، يمكن للباحث أن يكتشفها بذوقه السليم .

فللإيقاع الصوتي لسورة مريم – والمتمثل في فواصل آيات السورة– إيقاع خاص، فتتنوع الألفاظ بتنوّع المعاني والموضوعات[1].

ففي القرآن الكريم تناسقات صوتية تتكرر وتتوازى وتتوزع بانسجام لتفجر الدلالات الكامنة في النص القرآني فهي متناسقة والسياق العام للسورة كلها، وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني[2] .

[1]–ينظر: المرجع السابق، ص5.

[2]–ينظر: عبد الرحمان بن رجاء الله الجامعي السلمي، التناسق الصوتي في القرآن الكريم –سورة مريم أنموذجا–مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد السابع ،1435هـ ، ص 314.

والقرآن الكريم ثري بهذه الظواهر الصوتية اختارت الباحثة بعض من آيات المدوّنة–سورة مريم– التي كان لها الحظ الأوفر في الدراسات الصوتية فنجد على سبيل المثال دراسة معين رفيق أحمد صالح في أطروحته "دراسة أسلوبية في سورة مريم" قد تناول الدلالة الصوتية في فواصل سورة مريم ، ودراسة عزة عدنان أحمد عزت "المقطع الصوتي في سورة مريم" برواية حفص عن عاصم أيضا تناولت علاقة المقطع الصوتي بالسياق، فاستندت الباحثة على هذين البحثين وأبحاث أخرى لتترصد البعد التداولي للمقطع الصوتي في سورة مريم .

والفاصلة في القرآن الكريم هي: "وهي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع" ... وتقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام وتسمى فواصل، لأنه ينفصل عندها الكلام وذلك أنّ آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ولم يسموها أسجاعا"[1].

لقد بدأت السورة الكريمة بالحروف المقطّعة (كاف–ها–يا–عين–صاد) حروف تتصف باللين والرّخاوة، والهمس، وقد بُنيت فواصل السورة الكريمة على المد بأنواعه الذي يتلاءم وجوّ السورة، وهو الرحمة، وما إلى ذلك من التعبيرات الوجدانية والانفعالات التي نلمسها في النفس البشرية، وفي الكون الذي عُرض لنا في صورة ذات، تحس وتغضب وتستنكر قال الله تعالى ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾[2]

[1]– بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، ط1،2006، ص50.

[2]– مريم، الآية: 90.

وأما الإنفعالات البشرية فتبدأ من الآية الثانية وتستمر حتى نهاية السورة[1] .

وإذا تأمّلنا فواصل السورة كريمة نلاحظ أن أغلبيتها منتهية بمقاطع مفتوحة، لتشكّل لنا جو الراحة واللّين فقد ذكرت الباحثة في تقديم سورة مريم أن الجوّ السائد في هذه السورة هو جوّ الرحمة إذ ذكرت لفظة "الرحمة" في ستة عشر موضعا فرحمة الله واضحة جلية وسعت كل شيء، والمقاطع المفتوحة تناسبت وسياق الرحمة والحنان.[2] فقد بدأ الله عز وجل بالحديث عنها في قوله :﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾[3] فقد وردت "رحمت" بالتاء المفتوحة لتدل على الرحمة المفتوحة التي لا حد لها فقد شملت كل ما في السموات و الأرض .

"جاء في مدّ التاء وقبضتها: تمدّ التاء في الاسم المفرد الذي فيه علامة التّأنيث، كونها أسماء وصفات تفيض منه، وقد مدّت الرحمة في سبعة مواضع من القرآن الكريم"[4]، نذكر منها : قوله تعالى :﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[5]

وقوله تعالى:﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[6]، "وهي رحمة مؤجلة وليست عاجلة، فلا حدود لها، وهي واسعة شاملة تناسبها التاء المفتوحة"[7] نلاحظ قوة إنجازية عظيمة للصوت في القرآن الكريم .

---

[1]–ينظر: بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص319.

[2]–عزة عدنان أحمد عزت، المقطع الصوتي في سورة مريم –دراسة إحصائية دلالية –مجلة جيل الدراسات الأدبية و الفكرية، العراق ،العدد 2،فبراير 2015، ص147.

[3]–سورة مريم، آية: 2.

[4]– عبد المنعم كامل شعير، الإعجاز القرآني في الرّسم العثماني، مكتبة المهتدين ، د.ط، د. ت،

[5]–البقرة ، 218

[6]– الزخرف ، 32

[7]– المرجع السابق

وإنك في قراءتك للألفاظ : رضيّا، سريّا، حفيّا، نجيّا . تشعر بالرّخاء والعمق في جرس الكلمات، فنلاحظ طول المد، فهذه الكلمات وغيرها من السورة، وكأنها توحي بالرحمة المطلقة والحرية والاستراحة، وإذا ما عدنا إلى طبيعة المدّ في علم الأصوات نجده" قابل للاستمرارية لأنّه يحدث في حقيقة أمره من اتخاذ اللسان والشفتين وضعا خاصا وهو حرية الهواء في الخروج دون عوائق من الفم ...وقد تخضع نشأت المد للسياق الواردة فيه، وبعض الحالات النفسية التي لها علاقة بالمتكلم، وهذا العامل ليس لغويا "[1]فمثل هذه الظواهر غير اللغوية من شأن المنهج التداولي .

وتأتي الفاصلة مشدّدة و قويّة دالا أو زايا (د ، ز) في مواضع الشدّة و العنف، نحو : عّدا ، ضدّا ، إدّا ، هدّا ، عزّا ، أزّا ،في قوله تعالى :﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (82) أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (83) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾[2]

فمعنى كلمة "أزّا" :" أي تُرجعهم إرجاع القِدر إذا أعزّت أي اشتدّ غليانها و أزه أبلغ من هزه"[3] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾[4] فالمعنى من كلمة "إدّا": "الأمر المنكر"[5].

---

[1]– غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية –دراسة في أصوات المد العربية–، دائرة الشؤون الثقافية والنشر. العراق، 1974، دط ، ص37

[2]–سورة مريم، الآيات:81–84.

[3]– الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح محمد سيّد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د ط، دت ، ص 16.

[4]– سورة مريم ،آية: 89.

[5]– الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 14.

فالشدة : هي انحباس جريان الصوت ، فانحباس النّفس يجعل الحرف يخرج قويّا مندفعا بشدّة.[1]

إن هذا التعريف لخير دليل على علاقة خروج الأصوات والمتكلمين ونلاحظ في الدراسات اللغوية التراثية أن حتى الجانب الصوتي والمقطعي للكلمات له دلالات غير مباشرة لها علاقة متينة بالمتكلم ، فلا تعبر عن دال ومدلول فحسب بل تكشف المضمر بين الحروف، فما بالنا الكلمات والنصوص والخطابات .

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[2]

فقد أحدث التقابل بين كلمتي «إنّي، ومنّي "إيقاع متوازن جميل، ولو أخطأ قارئ "ربّ إنّي وهن مني العظم" مثلا لاختفى الإيقاع المتوازن العذب .

وذكر ابن جني أن هناك علاقة بين الأصوات ومعانيها، فتتجانس مع أجواء الآيات وسياقاتها .

فقد منح المدّ –حركة الفتحة الطويلة –الوضوح لكلام عيسى عليه السلام، وهو طفل في مهده، فهذه الحركة تزيد من دهشة المستمعين، إذ تقتحم الآذان بكل جلاء وإبانة [3].

---

[1]–ينظر: حاج علي عبد القادر، المفاهيم الصوتية في تهذيب اللغة –في ضوء الدرس الصوتي الحديث–دار الكتب الحديث، القاهرة، ط1، 2014، ص 159.

[2]–سورة مريم، آية: 4.

[3]– معين رفيق أحمد صالح ، دراسة أسلوبية في سورة مريم ، ص 21.

قال الله تعالى:﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[1].

فحركات الفتحة الطويلة، وحركات الكسرة الطويلة نسجت جوا إيقاعيا عذبا، ففي المدّ طرب ولين، يتناسب وصوت الصبّي[2].

ونلحظ أبعاد التداولية في المد أيضا في إظهار الّتشكي والتّأوه وإظهار الضّعف في دعاء زكريا عليه السلام، قال الله تعالى :﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾[3]

وفسّر جمهور العلماء أن زكريا خشي من أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفا سيّئا، فسأل الله ولدا يكون نبيا من بعده يسوسهم بنبوّته.[4]

فهذه الآية الكريمة خبرية إذ يخبر زكريا عليه السلام عن حالته، في فعل القول المباشر الخوف من أبناء عمومته، والإقرار بعقم زوجته "إيشاع "، أما فعل القول غير المباشر فنلمسه في إظهار حاجته لله عز وجل والعجز والضعف الذي شعر به فدعا الله في خشية وتذلل وتأدب كما يليق بالله عز وجل .

---

[1]– سورة مريم ، من الآية 30إلى الآية –33.

[2]– ينظر : معين رفيق أحمد صالح ، دراسة أسلوبية في سورة مريم ، ص23

[3]–سورة مريم ، الآية: 5.

[4]–ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ص 134.

وإذا قرأنا ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[1] تقترب الشّفتان وتنظم إلى بعضها عند النطق بحركة الضمة في "ناديناهُ وقرّبْناهُ"، فقد جسدت حركة الضمة القصيرة على الهاء هذا القرب.[2] فالبعد التداولي لهذا الإيقاع يدل على تقريب الله عز وجل لموسى عليه السلام.

ولنتأمّل قوله تعالى:﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[3] نلاحظ أنّ صوت الهمزة تكرر ست مرات في خطاب والد سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهو غاضب منه غضبا شديدا لدرجة أنك تشعر أنه مختنق، والهمزة مناسبة للتعبير عن مثل هذه المواقف الانفعالية المصحوبة بالزجر والنهي والتهديد فالهمزة من أشق الحروف و أعسرها في النطق لأنها تحبس الهواء فيحدث اختناق[4].

فنلاحظ أن هذا الصوت كشف لنا بُعدا غير لغوي، بعدا تداوليا، إذ صوّر لنا حالة والد إبراهيم عليه السلام تصويرا دقيقا.

ويمكن أن نجمل القول في أن الإيقاع الموسيقي للسورة الكريمة تنوع بتنوع الجو والسياق، فعند ذكر القصص وأولّها قصة زكرياء ويحيي عليهما السلام ، وتليهما قصة مريم عليها السلام تسير الفاصلة على النظام نفسه رخاء في الفواصل دال على الرحمة ، ليأتي بعد ذلك

---

[1]–سورة مريم ، الآية :52.

[2]–ينظر: معين رفيق أحمد صالح ،دراسة أسلوبية في سورة مريم، ص 59.

[3]–سورة مريم، الآية: 46.

[4]– عبد الرحمان بن رجاء الله الجامعي السلمي، التناسق الصوتي في القرآن الكريم –سورة مريم أنموذجا–، ص 325.

تعقيب على قصة مريم وعيسى عليهما السلام بالفصل في قضية عيسى التي كثُر فيها الجدل والاختلافات بين الأحزاب، فتطول الفاصلة، وتنتهي بحرف الميم أو النون الساكن عند الوقف وليس كما شهدنا الفواصل التي تحمل في طيّتها الرحمة واللّطف مثل الياء الممدودة الرخيّة[1]،

قال الله تعالى:﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ 34 مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2].

ثم تعود الفاصلة الرخية المديدة مع عودة سياق القصص وذكر صفات الأنبياء، في قوله تعالى:﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾[3].

ويأتي بعدها ذكر المكذّبين وأحولهم وجزائهم من عذاب وانتقام، فتسير فتنحو الفاصلة نحوه ويتغير إيقاعها بتشديد الدال[4]، في قوله تعالى:﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾[5].

وبهذا نلاحظ أن توظيف الفاصلة في القرآن الكريم يتناسق مع المعنى والسياق الواردة فيه، فالمتمعن في ألفاظ القرآن الكريم.

---

[1]–ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد 1، ج1–ج4، دار الشروق، القاهرة، ط1 ،1972، ص2300.

[2]–سورة مريم: الآية: 34–35.

[3]–سورة مريم: الآيات: 41–42.

[4]–ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2301.

[5]– سورة مريم، الآية: 75.

فالباحثة في هذه الأطروحة تترصد القول المباشر والقول غير المباشر في النص القرآني إذ بها تتفاجئ بالصوت المباشر والصوت غير المباشر رؤية وجدتها تستحق فسحة أكبر من الاهتمام والبحث لا مجرّد مبحث في رسالة علمية تعود إليها بإذن الله تعالى لأنها دراسة تجمع بين مشقة البحث ومتعة الاستكشاف حقيقة الصوت في القرآن الكريم نسبيا .

2- البعد التداولي للمستوى الصرفي:

برزت التّداولية في الأفق تتخطى الجانب اللغوي للجملة، لتتعمق في تفاصيل إنشائها في السياقات المتعددة، ركز اللغويون على التراكيب النحوية وأبعادها ووظائفها التّداولية، ومنهم من عقد مقارنة بين علمي الدلالة والتداولية لأن كل منهما يبحث في المعنى ولهما أوجه اختلاف وأوجه التقاء، سنخصص لهما ركنا في هذا البحث ، لكن ما نلاحظه أثناء تركيب الجملة أننا نوظف كلمات بصيغ صرفية متعددة، تتناسب وسياق استعمالها، فالصيغة "استفعل" مثلا، للطلب، نحو قولنا "أستغفر الله العلي العظيم "، فاستعمال هذه الصيغ ليس اعتباطيا وخير دليل كتاب الله العزيز، فالصيغة الصرفية لا تفسر بدلالتها في المعجم ولكن بحسب توظيفها في سياق الآية الكريمة، وكذا الشعر العربي مليء بالأمثلة التي تؤكد أن دلالة الصيغة الصرفية في معجمها تنزلق في سياقات استعمالاتها إلى دلالة متباينة ومتضادة أحيانا، فأنت حين قراءتك للبيت الشعري للحطيئة –و لطالما استوقفني هذا البيت الشعري :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها *** واقعد فإنّك أنت الطّاعم الكاسي

يقول الشاعر لمن يهجوه: اقعد فإنّك أنت الطاعم الكاسي، بعد قوله له لا ترحل لطلب المكارم، إنما راد: اقعد كلاّ على غيرك أي عالة على غيرك مطعوما مكسوّا ، فأسند الوصف إلى الفاعل و من حقها أن تسند إلى المفعول، فالإسناد هنا مجازي ندركه بالعقل و حسن النظر ونوعه المجاز العقلي علاقته المفعولية .[1]

بكثير من التأمل نجد أن الحطيئة في الشطر الأول من البيت يأمر الزبرقان بعدم تتبع المكارم والبحث عنها، لأن الكرم طبيعة إنسانية تشب معه وتشيب، وفاقد الشيء لا يعطيه وأنت بعيد عنها، وإشارة خفية بعيدة على أنه ابن المكارم، لتلفظه بكلمة قوية الوقع وهي فعل الأمر "دع" بصوتين مجهورين تعكس شدة الغضب والسخط، ولم يقل اترك أو لا تبحث، أما الشطر الثاني من الوهلة الأولى يُخيّل لك أنه مدح "الطاعم، الكاسي "على وزن فاعل وهذا الوزن يصاغ للدلالة على من يقوم بالفعل، لكن عند قراءتك للفعل "واقعد" ينتابك شك في أنه مدح فالقعود للعاجز عن التكفل بنفسه،

والأفعال الإنجازية الحرفية المباشر في قوله:

"دع المكارم" ←—— أمر

وقوله "لا ترحل لبغيتها ←—— " نهي ،

وقوله "و اقعد "←—— أمر ،

وأما الفعل الإنجازي غير المباشر لهذه الأفعال، هو التحقير والتقليل من الشّأن.

[1]– علي الجارم، البلاغة الواضحة ، دار التوقيفية ،القاهرة ،ط 3،2015، ص220

وقوله "أنت الطاعم الكاسي " جملة خبرية الغرض منها أيضا التحقير، وهو القوة الإنجازية غير المباشرة .

فعلم الصرف من أهم العلوم الواجب الحرص على تعلّمها وتعليمها لحسن توظيف الصيغ الصرفية، وقد عرّف الجرجاني التصريف كما يأتي :"اعلم أنّ التصريف "تفعيل " من الصّرف؛ وهو أن تصرّف الكلمة المفردة، فتتولد منها ألفاظ مختلفة، ومعان متفاوتة "[1] وقد ذكر ابن جني أن علم الصرف هو ميزان العربية، به تعرف أصول كلام العرب، وبه نعرف الزوائد الداخلة على الكلمة.[2]

وقد عرض الجرجاني الفروق الجوهرية بين النحو والصرف والاشتقاق؛ "فالنحو لمعرفة أحوال الكلم المتنقلة " من نصب ورفع وجر، أما التصريف: "إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة " أي أصل الكلمة و ما لحقها من الحروف الزائدة .

ونجد الجرجاني يقدم المعرفة بالتصريف لمعرفة النحو، لأن معرفة الأمر الثابت يكون أصلا لمعرفة الأمر المتنقل ؛ فالثابت هنا هو أصل الكلمة وما لحق بها، والمتنقل تغير أواخر الكلم حسب تغير العامل فيه، لكنه يردف كلام بالاعتراف بصعوبة علم الصرف، لهذا كان السبق في التعلم علم النحو ليكون موطئا للدخول فيه .[3]

---

[1]– عبد القاهر الجرجاني، المفتاح في الصرف، تح علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1987، ص 26.

[2]–ينظر: المرجع نفسه، ص 27.

[3]– ينظر: عبد القاهر الجرجاني، العمد–كتاب في التصريف– تح البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ط 2 ،1995، ص 33.

والدلالة التصريفية هي الأثر المعنوي المستفاد من الكلمة، فنجد لها دلالة معجمية، وأي زيادة في الكلمة يؤدي إلى تغير هذه الدلالة المعجمية، وتخضع الدلالة الصرفية للسياق الذي وردت فيه، لهذا اعتنى به علماء التّفسير، فكل بنية صرفية لها دلالاتها الفرعية سواء كانت فعل، أو اسم، أو مصدر ...نحو كلمة حافظ، حفيظ، ومحفوظ كلّها أوصاف، من جذع واحد الفعل حفظ إلا أنها تختلف في دلالاتها؛ فحافظ من قام بالحدث ، حفيظ فيدل على الكثرة ، محفوظ ما وقع عليه الفعل، وتدل على من قام بالحدث .

ويقول سيبويه أن هناك من المصادر التي تأتي على مثال واحد لتقارب معانيها، فكل ما دل على زعزعة البدن مثلا واهتزازه في ارتفاع ...، يأتي على وزن فعلان، نحو: غليان، ثوران الغثيان .

وما دلّ على داء مصدره على وزن فَعَلَ، وماضي فعله ثلاثي على وزن فَعِلَ، الوصف منه على وزن فَعيل: مثل: مريض، سقيم، حزين (وقد جعلوا من الحزن مرض لأنه علة الأمراض أغلبها، وقد عّده سيبويه داء)

فالدلالة الصرفية تعتبر سببا في غناء اللغة وثرائها (كتاب الخلاف التصريفي 61 فريد بن عبد العزيز)

إنّ اللّغة العربية لغة مرنة مطواعة ممّا يجعلها تتسع لمعان لا حد لها، وهذا لما يتميز به المستوى الصرفي من خصائص والتي من شأنها توليد أبنية متعددة للكلمة الواحدة، إما بالزيادة أو بالنقصان، لتعبر عن معان مختلفة، إنه من أهم المستويات اللغوية وأخطرها على

الإطلاق حين يسوء استعماله فيمكن أن تتحوّل الصيغة الصرفية من الضد إلى الضد، نحو قولنا "القاسط"، و"المقسط"؛ فالقاسط تعني الجائر، والمقسط تعني العادل.

ويمكن أن نلمس تعدد لمعاني الكلمة الواحدة مع تعدد سياقات استعمالاتها، فهذا العلم من شأنه أن يثري رصيد المعجم اللغوي العربي ويثقله بالدلالات المتعددة ، وهذه ميزة تختص بها اللغة العربية عن سائر لغات العالم، فنظامها الصرفي الاشتقاقي قادر على احتواء المعاني الكامنة في النفس، وأيضا يجعل منها لغة علم وتكنولوجيا بقدرتها على وضع المصطلحات العلمية الدقيقة والمتخصصة لشتى المفاهيم العلمية والمخترعات التكنولوجية، فالكلمة الواحدة تتخذ عدة معاني كل معنى مستقل عن الآخر، دلالة صيغتها الصرفية أولا، والدلالة الوظيفية ثانيا والدلالة المعجمية ثالثا، وتضيف الباحثة الدلالة التداولية رابعا للصيغة الصرفية[1].

وقد أشار ابن جني في كتابه الخصائص إلى الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية وكل واحدة لها دورها، فالأفعال تجتمع بها هذه الثلاثة؛ فالفعل يدل على مصدره وعلى زمانه، وعلى دلالة معناه على فاعله، فالصيغ الصرفية في نظره هي عبارة عن قوالب تحمل المعنى ومن جهة أخرى تعتبر مثال يُحتذى به ويُنسج على منواله، أما الصناعة فخاصة بالتشكيل والصياغة والاشتقاق، أما المعنى الصناعي فهو الجانب الوظيفي بالمفهوم المعاصر للصيغة الصرفية، واتفق اللغويون القدامى أمثال سيبويه والخليل ابن جني وابن الأثير وغيرهم كثير على أن كل زيادة في المبنى هي زيادة في المعنى بشرط أن تكون هذه الزيادة عن أصل وجذر اللفظة، أي

[1]–ينظر: عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة)، المكتبة العصرية، بيروت، د ط،2007، ص ص9،7.

نقل اللفظ من أصل صيغة ثلاثية إلى أخرى رباعية نحو، الفعل قتل، قتّل وهي التكثير من القتل وهي اللفظة الجديدة المحملة بمعنى جديد، فهناك صيغ رباعية الأصل تدل على معناها الذي وضعت له نحو الفعل رتّل رباعي مضعف ولا يدل على كثرة القراءة، بل المراد منه أن تكون القراءة بتأني وتدبّر[1].

فنقل اللفظ من صيغة إلى صيغة أكثر حروفا لا يكون إلا للمبالغة حسب رأي ابن الأثير، نحو الفعل قدر على وزن فعل والفعل اقتدر على وزن افتعل فمعنى اقتدر أقوى من معنى قدر كما في قوله تعالى:﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾[2] اسم الفاعل مقتدر أبلغ من اسم الفاعل قادر؛

فمقتدر يدل على شدة الأخذ الصادر عن قوة الغضب [3].

3-البعد التداولي للمستوى الدلالي في السورة:

عرض البحث مسألة دمج التداولية في الدلالة، ما اصطلح عليه الباحثون التداولية المدمجة، ويرى بعض من الباحثين أن وظيفة التداولية هي وظيفة دلالية بالكاد نفرق بينهما.

---

[1]-ينظر: عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة)، ص 19.

[2]- سورة القمر، الآية: 42.

[3]-ينظر : عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة)، ص ص 39-40.

لكن تختلف الوظيفة الدلالية عن الوظيفة التداولية للتراكيب؛ فالدلالية تركز على المعنى الحرفي الذي تؤديه الجملة، ولا تهتم بالجانب غير اللساني والذي هو من وظائف التداولية فالكل يشتغل لاستنطاق المعنى والقصد، فالتداولية تعتني بالسياق وتعتبره بعدا مهما في تحليلاتها، والفرق بين البعدين الدلالي والتداولي هو أن التداولية تعتني بالمعنى في علاقته بمقام الكلام، دون أن ننسى أهمية البعد النحوي لأنه مهم في عملية تحليل الكلام بالنسبة للتداولية، فالتفاعل بين هذه الأبعاد ضروري في إجراءات التحليل اللغوي.[1]

ويتّصل التفريق بين البعد الدلالة، والبعد التداولي بالفرق بين الجملة والقول ونشأ هذا التفريق عن التمييز بين اللغة والكلام عند دوسوسير؛ فالجملة هي :اللغة، والقول هو : الكلام [2].

فالمعنى يُدرس على مستويين؛ مستوى قبل تحقّق المعنى في الواقع : ومستوى ما بعد الاستعمال السياقي؛ فالمستوى الأول من مباحث علم الدلالة، والمستوى الثاني من مباحث التداولية، وقد ترجمت النظرية التداولية إلى علم التخاطب والذي يعتني بالمعنى بعد أن يصير قصدا فعليا، فتتجلى بهذا التفريق ثنائية مهمة وهي "الوضع والاستعمال "والتي نجدها عند الأصوليين في خروج الاستفهام على سبيل المثال عن غرضه الحقيقي وهو طلب معرفة الجواب وهو "الوضع" إلى أغراض أخرى اصطُلح عليها الأغراض النفسية، أو الأدبية أو

[1]– ينظر عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس،ص40.

[2]– محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان، ط1،2004 ص15.

البلاغية ؛ كالتمني، أو الإنكار، أو التوبيخ وهنا "الاستعمال"[1]، فهذا الاستعمال المجازي للغة من مباحث التداولية وقبله البلاغة، وقد أقرّ بعض من اللسانيين أن البلاغة الجديدة هي النظرية التداولية، لأن كل منهما يبحث عن القول غير المباشر ويعتني بسياق الاستعمال، وقد استمدت البلاغة العربية علومها من أساليب القرآن الكريم فاغتنت منه وارتوت، وتتبعت ألفاظه في سياق استعمالاتها المتعددة .

ألفاظ القرآن الكريم دقيقة دقة لا نهاية لها، فلا يمكنك استبدال كلمة بكلمة أخرى لأنه سيؤدي إلى خلل في المعنى وينقص من دقة التعبير، ولا يمكن فهم معنى الكلمة إلا في سياقها الذي وردت فيه [2].

فمن الأمثلة على دقة المعاني التي تؤديها السورة، نذكر كلمة "بغيا" الواردة في قوله تعالى:﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[3]

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[4]

والبغي هنا هو: الفاجرة، والمجاهرة بالزنا، ونلاحظ عدم ذكر الزنا لأنها لا تفي بالغرض لأنها تقتصر على فاحشة الزنا أمّا "بغيّا" فكانت مثقلة بالدّلالات وبالأبعاد التداولية ؛

[1]–محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى –أنظمة الدلالة في العربية–دار المدار الإسلامي، بيروت ،ط22007،ص ص8–9.

[2]–ينظر : معين رفيق أحمد صالح ، دراسة أسلوبية في سورة مريم، ص61.

[3]–سورة مريم، الآية:20.

[4]–سورة مريم،الآية :28.

✓ البغي: الظلم، وتجاوز الحد لهذا من يرتكب فاحشة الزنا تجاوز للحد، فيقام عليه الحد.[1]

✓ البغي: يدل على الفساد، فهذه الكلمة تحمل كل المعاني السلبية، فهي كلمة إيحائية خارجة عن القول، مرتبطة بالذهن،

- فعل القول: الزنا
- قوة إنجازية تمثلت في: المعنى المراد "الفساد "
- أما فعل التأثير يحدث أو لا يحدث . (ردّة فعل القوم)

ولنتأمل القوة الإنجازية لكلمة "سريّا" في قوله تعالى :﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾[2] و"تعني الجدول من الماء أو الساقية، و قيل سيدا من السرو ، وهو عيسى عليه السلام"[3].

وشرحها الزمخشري: أي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين: الأكل والشرب، والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين...

فغرض الآية الكريمة دفع الحزن والهم عن مريم عليها السلام[4] في كلمة تعددت أبعادها التداولية.

ففعل القول للكلمة: الأكل والشرب والقوة الإنجازية : الطمأنية ودفع الحزن

---

[1]- ينظر: معين رفيق أحمد صالح ، دراسة أسلوبية في سورة مريم، ص65.

[2]- مريم ،24

[3]- ناصر الدين أبي سعيد البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التّأويل ج4،بهامشه أبي الفضل القريشي الكازروني، مؤسسة شعبان، بيروت ،دط،دن،ص5.

[4]- معين رفيق أحمد صالح، دراسة أسلوبية في سورة مريم، ص 73.

إن المتأمل لكلمة "رزقكم "في قوله تعالى {ولهم رِزْقُهُم فيها بُكْرَةً وعَشِيًّا} يجدها تتسع للخيرات لأهل الجنة فهي أعم من الغذاء؛ فهي كل ما يؤكل ويشرب ويلبس ويستعمل، فلهذه الكلمة قوة إنجازية خارقة إذ تتعدى المعنى المعجمي لها ؟ إلى معاني غير مباشرة تفهم من كثرة التمعن والتدبر في كلام الله عز وجل.

وفي قوله تعالى :﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[1].

فقد فسر العلماء كلمة يمسسني أي يتزوجني وهنا مقام الحلال، فقد ذكر الزمخشري أن القرآن جعل المس عبارة عن النكاح الحلال وقد ورد في عدة آيات قال تعالى:﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2].

ولنتأمل قوله تعالى :﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[3]

الرطب نوع من التمر وهو من أجودها، جنيا تام نضجه صالح للاجتناء[4]، فكلمة رطبا تدل على النعومة والطراوة الليونة التي كانت مريم عليها السلام بحاجة لها لكي تطمئن نفسها وتقر عينها بولدها.[5]

---

[1]– سورة مريم ، الآية 20 .

[2]– سورة البقرة، الآية: 237.

[3]– سورة مريم ، الآية: 25.

[4]– ينظر: حاشية أحمد الصاوي المالكي على تفسير الجلالين ،ج3، المطبعة الأزهرية لمصر ،ط1926،1،ص30.

[5]– ينظر : معين رفيق أحمد صالح ،دراسة أسلوبية في سورة مريم،ص68.

نلاحظ معا الفعل "هزّي" فعل أمر وليس من السهل هز النخلة الشامخة، يأمر الله عز وجل مريم عليها السلام بفعل الهز،

فعل القول هو المتتالية من حروف الفعل هز

القوة الإنجازية للفعل حث مريم عليها السلام على الحركة و بذل قليل من الجهد لتسهيل عملية المخاض.

فعل التأثير: سقوط الرطب وهو الغذاء الذي سخره الله لها لفوائده العظيمة خاصة لعملية الطلق.

لكن لو أمعنا النظر في الفعل هز في هذه الظروف فنجد فعل غير مباشر قوة إنجازية خفية بعيدة وهي الحث على الاجتهاد واتخاذ الأسباب تحت أي ظرف كان عليه العبد، لأن الله عز وجل يحب اليد العليا ويأمر عبده بالاجتهاد في أمور الدين من طاعات وعبادات وأمور الدنيا من السعي الحلال وخدمة الناس

المبحث الثالث : الأفعال الكلامية في سورة مريم

تتدرج نظرية الفعل الكلامي في البحث اللغوي العربي، في علم المعاني مبحث الخبر والإنشاء ونجده في التراث اللغوي في قول السكاكي "تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان ...ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ".

فقد اقتصرت دراستهم على التراكيب الدالة المفيدة، سواء كانت دلالتها صريحة، أو ضمنية، أي مباشرة وغير مباشرة، فقد ركزّ علماؤنا على نقطة الإفادة والفهم في دراستهم للجملة والنص.[1]

لقد اتفق رواد التداولية أن اللغة ليست للوصف والتقرير فقط سواء كانت الجملة خبرية أو إنشائية، ولعل الأمر المهم هنا هو الجملة الخبرية التي لطالما نعتت بالوصفية، لكن أجمع هؤلاء على عدم صحة هذا القول في كثير من الأحيان، وما نسعى إليه هو محاولة الاستعانة بإجراء تداولي وهو الفعل المباشر والفعل غير المباشر في استنطاق الخطاب القرآني المقدس لما فيه من أقوال صريحة وأخرى مضمرة، بدراسة التراكيب الخبرية والإنشائية، مع اختيار ما تيسر للباحثة من آيات محكمات من سورة مريم، ورصد الوظائف التداولية لهذه التراكيب ونقصد بها الوظائف الإنجازية، فكل قول في القرآن الكريم تكليف وإنجاز، أو ترغيب وترهيب، أو تربية وإرشاد في قوالب صريحة ومضمرة .

[1]– ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، –دراسة تداولية للأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي–، ص ص49–51.

وكما سبق الذكر، أن أوستين قسم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أقسام ؛

- ✓ **فعل القول:** الجانب الشكلي للفظة .
- ✓ **فعل متضمن في القول:** وهو الفعل الإنجازي .
- ✓ **و الفعل الـأثيري:** وهو نتاج القول وما يتركه من تغيرات في سلوكم المتلقي.

وركّز كل من أوستين وتلميذه سورل على الفعل الإنجازي المتضمن في القول، وقد تجنّبت الباحثة بعض المفاهيم الواردة في نظرية أفعال الكلام منها شروط الملائمة تحرزا، لأن النص المقصود دراسته هو نص قرآني مقدس ووجدت أن هذه الشروط (شرط الإخلاص، وشرط الصدق، والإيجاز: تكلم قدر الحاجة). تناسب المستوى العادي من الكلام وهو المستوى البشري، لهذا تجدني أتوخى الحيطة والحذر في التعامل مع هذه النظرية، وأنهل منها ما يناسب طبيعة البحث، لأن اهتمامات نظرية الأعمال اللغوية كما أثبتتها الكتب المتخصص في هذا المجال كانت تصب في مجال الأقوال الاجتماعية اليومية بين أفراد المجتمع الواحد، وإن صح التعبير هي نظرية تدرس اللغة البشرية في مستوياتها العادية، من وعود والتزام بالوفاء بها والمعاملات اليومية التي تخضع لمعيار الصدق والكذب، ونحن –المسلمين–عندما نعلم أبنائنا أن الجملة الخبرية إما صادقة أو كاذبة نستثني من هذه الجمل كلام الله عز وجل والأحاديث النبوية الشريفة ونضيف معها حتى الحقائق العلمية الثابتة كشروق الشمس من جهة الشرق، ولم تلحظ الباحثة هذه الاستثناءات في رؤية رواد الأعمال اللغوية حول الجمل التقريرية ولا

أقصد القرآن الكريم والحديث النبوي طبعا، بل الحقائق العلمية الثابتة مثلا وشيء يتعلق بعقيدتهم إلا إذا لم تحط الباحثة بجوانب هذه النظرية كلها.

وما لفت انتباهنا هو دقة أوستين في تحديد أنواع الأساليب في لغتهم، في البداية تحدث عن الأقوال التقريرية أو الإخبارية، وقال في تعريفها هي كل قول يحتمل الصدق أو الكذب، وأثار مسألة وصفية اللغة، أي أن اللغة تستخدم لوصف العالم من حولنا متأثرا بفنجشتاين WITTGENESTEIN فقط فالجمل الوصفية الخبرية لا تغير الواقع من حولنا، لكن سرعان ما عدل عن هذه الفكرة، وعارض فلاسفة الوضعية المنطقية الدين لهم هذا الرأي (وصفية اللغة) وينظرون إلى الأساليب الإنشائية أنها لا معنى لها لأنها لا تصف واقعا، وسمى أوستين هذا الرأي "بالمغالطة الوصفية Discriptirefallacy " ورد عليهم بجملة من العبارات التي من المحال أن تكون للوصف فقط ، بل تنجز فعلا في الواقع ، رغم أنها جمل إخبارية، فأنت حين قولك "أوصي بمالي لفلان "فهي عبارة لا تصف واقعا ولا تحتمل الصدق أو الكذب[1].

هي إنجاز فعل كلامي عبارة عن وصية تنفذ أو عبارة ترحيب أو اعتذار أو نصح فلا تحتمل الصدق أو الكذب بل موفقة أو غير موفقة حسب درجة تأثيرها في المتلقي وهذا ما يميّزها عن الأفعال الوصفية الإخبارية التي يطبق فيها حكم الصدق والكذب، وعليه نجد أن

[1]– ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2002، القاهرة، ص ص 60-62.

أوستين فرق بين الأفعال الإخبارية أو الوصفية (déscriptive) والأفعال الأدائية أو الإنجازية (performative) [1]، كالوعد أو الاعتذار، التهديد والوصية وغيرها من الأقوال الأدائية.

وقد حدّد أوستين شروطا لنجاح العمل اللغوي، كالإرادة، والقصد، والقدرة، نحو تصريح من عامة الناس عبر مواقع التواصل الاجتماعي، أن يوم الغد يوم عطلة مدفوعة الأجرة بالنسبة للموظّفين، بطبيعة الحال لن يلتفت أحد إلى هذا التصريح فيتحقق العنصر الأول من فعل الكلام وهو القول اللفظي فقط، أما القول الإنجازي فهو فاشل مخفق، أما إن كان الخبر من الجهات الرسمية فيتحقق فعل الإنجاز فالتأثير.[2]

ففي قولك على سبيل المثال لأحدهم: "هذا الحيّ به لصوص" إذا ما أسقطنا عليه تقسيمات الفعل الكلامي عند أوستين فنجد:

- ✓ **فعل القول:** هو تلك المتتالية من الحروف والتراكيب على مستوى الشكل.
- ✓ **فعل متضمن في القول:** التحذير فأنت لم تتلفظ بعبارة التحذير لكن القول يتضمن التحذير أو رغبتك في مغادرة الشخص الحي.
- ✓ **فعل التأثير:** ردة فعل السامع، الخوف، الهرب، المواجهة.

ونلاحظ أنه في الجمل الخبرية يفرق بين الفعل الإنشائي والفعل الوصفي أو التقريري، فيركز على الأقوال الإنجازية.

ونجده من جهة أخرى يقسم الجمل الإنشائية إلى قسمين:

---

[1]– ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[2]–ينظر: المرجع نفسه، ص32.

إنشاء صريح، إنشاء أولي؛ فالصريح يقصد به الصيغ الإنشائية الطلبية الحقيقية، مثل، الأمر، والنهي وغيرها من الصيغ الطلبية الصريحة،

أما الإنشاء الأولي فهو صيغ إنشائية أيضا لكن غير مباشرة بل يتوخى المتكلم منها رسائل ضمنية وما يصطلح عليه في بلاغتنا العربية الراقية بالأغراض البلاغية، أو النفسية، مثل الالتماس، أو التحذير أو السخرية ...

وفي هذه الخطاطة محاولة منّا لتمثيل رؤية أوستين في هذا الشأن:

الخطاطة :

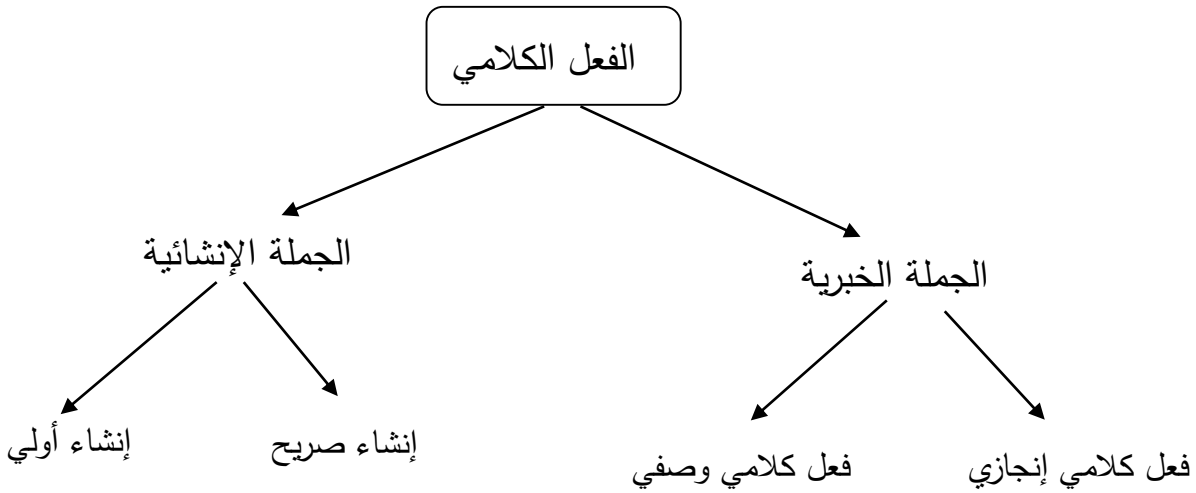

وما نلاحظه في تصنيف أوستين للأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية وتقسيمها إلى خمسة أصناف، أنّ هذا التصنيف يتعارض وتصنيف الباحثين العرب القدامى في ما يصطلح علية بالإيقاعيات أو العقود : نبدأ بتصنيف أوستين وبعدها نلقي نظرة على الإيقاعيات ليس من باب المقارنة أو المفاضلة ولكن لعقد مقاربة من شأنها أن تذلل المفاهيم للباحثين والطلبة المهتمين بهذا المجال ..

1. تصنيف أوستين للفعل الكلامي :

أ. **الأفعال اللغوية الدالة على الأحكام:** وهي كل الأقوال الدالة على حكم من قاضي، أو الفصل، أو التعيين، ولا تصدر إلا من بيده القدرة على إصدار الحكم، مثل/ القاضي، أو المدير أو أي مسؤول ..

ب. **الأفعال اللغوية الدالة على القرارات:** مثل الإدانة أو التعيين، التحذير..

ج.**الأفعال اللغوية الدالة على التّعهد:** اليمين، أو الضمان، أو التعهد: أو التكفل...

د. **الأفعال اللغوية الدالة على السلوكيات:** عبارة عن ردود فعل: مثل الاعتذار، أو الشكر، المواساة التّصبر ...

هـ. **الأفعال اللغوية الدالة على الإيضاح أو العرض:** وهي عبارة عن كلمات تضبط السلوك الاجتماعي لدى أفراد المجتمع الواحد: مثل، اترف، أجاب، خطّأ، رأى ، أوضح ، بيّن ...[1]

2. القوة الانجازية في سورة مريم ..

الكلام خبر وإنشاء :

أ-**الخبر:** هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته، فقولك العلم نافع حقيقة ثابتة، والمراد بصدق الخبر مطابقته للواقع، وما اتفق عليه الناس كلهم، وقضت به الشرائع، أما المقصود بكذبه عدم مطابقته للواقع.

[1]-ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في اللغوي المعاصر ،ص32

أغراض الخبر:

يلقى الخبر إما لإفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة إذا كان المخاطَب جاهلا الحكم ويسمى" فائدة الخبر "

وإما إلقاء الخبر والمخاطَب عالم بحكم الخبر ويسمى لازم الفائدة .

و يخرج الخبر عن الأصل لأغراض تفهم من سياق الكلام، أغراض نفسية منها[1]:

- ✓ إظهار الضعف والخشوع، نحو قوله تعالى:﴿قال رب إني وهن العظم مني و اشتعل الرّأس شيبا و لم أكن بدعائك رب شقيا ﴾[2]

فعل القول لهذه الآية الكريمة يتمثل في سلسلة الألفاظ التي بني بها التركيب.

- الفعل المتضمن في القول: عرض زكريا حالته، وإظهار الضعف والخشوع،
- الفعل الناتج عن القول: استجابة الله تعالى لدعاء زكريا و تبشيره بيحي.

إظهار التحسر: نحو:﴿قالت رب إنّي وضعتها أنثى﴾[3]

ب –<u>الإنشاء</u> : ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، نحو، اغفر، ارحم، وهو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظّت به .

وينقسم الإنشاء إلى نوعين؛ إنشاء طلبي، و إنشاء غير طلبي:

---

[1]– ينظر: السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، تح أحمد جاد، دار الغد الجديد، القاهرة ، ط1، 2012، ص ص51–52.

[2] – سورة مريم، الآية: 4.

[3]– سورة آل عمران ، الآية: 36.

الإنشاء الطلبي: ما يستدعي مطلوبا، غير منجز وقت الطلب، وصيغه: الأمر والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء.

الإنشاء غير الطلبي: مالا يستدعي مطلوبا، مثل :

- صيغ المدح والذّم: أفعالهما جامدة، نعم و بئس، حبّذا، ولا حبّذا، والأفعال المحّولة إلى فَعُل، مثل خَبُثَ وطاب .

– العقود: تكون بالفعل الماضي، مثل بعت، ووهبت، واشتريت ...

– القسم : يكون بواو القسم والباء، والتاء وغيرها .

– التعجب: يكوم بصيغتين، ما أفعله، وأفعل به القياسيتان، وغيرهما.

– الرجاء: يكون بعسى و حرى و اخلولق.[1]

ويقسم النحاة الأسلوب الإنشائي الطلبي إلى تسعة أقسام :

أمر، ونهي، واستفهام، ونداء، وعرض وتحضيض، وتمنّ، وترجي، ودعاء.

وقد تأتي هذه الأساليب لمعان أخرى على سبيل المجاز تفهم من سياق الكلام، نحو النصح والإرشاد، الإلتماس، التحقير، التعظيم، التعجيز، الانكار، السخرية والاستهزاء ...[2]

وما استوقفني وقد يستوقف القارئ هو أن الدعاء أدرج كأسلوب إنشائي لدي البلاغيين، ونحن عرفناه كغرض بلاغي لأساليب إنشائية، كالأمر، والنهي ، والنداء ...

[1]– السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 67.

[2]– ينظر: عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ط5، 2001، ص 15.

ويقول البلاغيون أن: "الدعاء: وهو طلب الفعل أو الكف من الأدنى للأعلى"، وله ثلاثة صيغ:

1-صيغة الأمر: نحو قوله تعالى ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً ﴾[1]

2-صيغة النّهي :﴿ربّنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نَسِينَا أو أخطَأْنا﴾[2]

3-صيغة الخبر: نحو، حفظك الله أي : اللهم احفظه[3]

والجانب المجازي لهذه الأساليب في اللغة العربية، يقابله القوة الإنجازية للأسلوب الإنشائي حسب رؤية (سوورل) ما اصطلح عليه: الأسلوب الإنشائي الأولي، والأسلوب الإنشائي الثانوي. (الفعل المباشر، والفعل غير المباشر)

3. الفعل المباشر وغير المباشر :

سيتكئ البحث على التفسير لرصد الأقوال الصريحة والمضمرة في الأسلوبين الخبري والإنشائي، ستترصد الباحثة الجمل الإنشائية الجمل الخبرية دون مراعاة الترتيب في السورة الكريمة ، لبيان الفعل المباشر وغير المباشر في الآيات الكريمة.

أ. القوة الإنجازية للجمل الخبرية :

(كهيعص) لقد افتتحت السور بالأحرف المقطّعة التي لا يعلمها إلا الله عز وجل (ذكر رحمت ربك عبده زكريا)أي هذا ذكر رحمة الله بعبده زكريا.

[1]- سورة مريم ،الآية 05

[2]- سورة البقرة ،الآية 286

[3]- ينظر :المرجع السابق ، ص 16 ،

(إذ نادى ربّه نداءً خفيا) : إنّ الله يعلم القلب التقي و يسمع الصوت الخفي .

الجمل الخبرية الإنجازية	رقم الآية من سورة مريم	الفعلغير المباشر/القوة الإنجازية
﴿قَالَ رَبِّ (**إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً وَلَمَ اَكُنْ بِدُعَآئِكَ**) رَبِّ شَقِيّاً ﴾	04	الاسترحام وإظهار الضعف و الوهن، وكبر السن
﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِنْ وَّرَآءِي وَكَانَتِ إِمْرَأَتِي عَاقِراً ﴾	05	إظهار الحسرة
﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ﴾	09	التعظيم عظمة و قدرة الله عز وجل في الكون
﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً ﴾	15	الدعاء
﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيَ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً ﴾	47	الدعاء
﴿أُوْلَٰئِكَ ٱلذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَآءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ رُّواْ سُجَّداً وَبُكِيّاً ﴾	58	المدح والثناء

﴿فَاخْتَلَفَ ٱلْاَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍۖ﴾	37	التخويف والتهديد والوعيد بالعذاب الشديد
﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاۖ﴾	63	التشويق والترغيب بما عند الله من نعيم
﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ اَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عُتِيّاۖ﴾	69	التحقير و التقليل من الشأن
الجمل الخبرية التقريرية /الوصفية		**الفعل المباشر**
﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّآءَ﴾	2	الإخبار
﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰماً زَكِيّاۖ﴾	19	إخبار مريم عليها السلام بأنه رسول من رب العالمين
﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَۖ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاۖ﴾	64	الإخبار بأن الأمر كله لله وحده

لا نستغرب ما توصلنا إليه وما المقصود من الفعل الكلامي غير المباشرة إنه الغرض البلاغي الذي عرفناه في البلاغة العربية أو الغرض النفسي أو الأدبي، والذي يفهم من سياق الاستعمال.

وأما عن الأسلوب الإنشائي نلاحظ في الآية الكريمة غلبة صيغة النّداء بشتى أنواعها و مختلف أغراضها البلاغية ، و سنستهل بها في عملية رصد القوة الإنجازية(الفعل غير المباشر) لأسلوب النداء و باقي الأساليب الواردة في الآية الكريمة :

ب-**القوة الإنجازية للجمل الإنشائية:**

الجمل الإنشائية	رقم الآية من سورة مريم	الفعل غير المباشر/القوة الإنجازية
النّداء﴿إِذْ نَادىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾	**03**	الإخفاء أولى لأنه أبعد من الرّياء
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾	**04**	إظهار الضعف وطلب الرحمة
﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾	**06**	الدعاء
(يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ اِسْمُهُۥ يَحْيىٰ﴾	**07**	التّنبيه
﴿قَالَ رَبِّ أَنّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰم وَكَانَتِ اِمْرَأَتِي عَاقِرا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عُتِيّا﴾	**08**	هنا حذف لأداة النّداء"يا" و هو إيجاز بالحذف ، (يا ربي) للتخفيف
﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيَ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾	**10**	الاستعجال

﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نِسْيٗا مَّنسِيّٗا﴾	23	التمني
﴿ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـٔٗا فَرِيّٗا﴾	27	التّعجب
﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٖ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾	28	القوة الإنجازية للنداء هي : التوبيخ
﴿ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـٔٗا﴾	42	نداء "بالياء"و هي لنداء البعيد و القوة الإنجازية لهذا الحرف فقط هي البعد في الاتجاه و المذهب ،أما الأسلوب فقوته الإنجازية النصح برفق ولين [1]

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴾	43	القوة الانجازية للنداء : التوسل والاستعطاف[2] (يدعو إبراهيم أباه بكل لطف و لين)
﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيّٗا﴾	44	النصح و الإرشاد برفقة و لين
﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيّٗا﴾	45	نداء قوته الانجازية النصح

[1] – عبد العظيم المطعنى ،التفسير البلاغي للاستنفهام في القرآن الحكيم،ج2، مكتبة وهبة القاهرة ،ط3 ،2011 ،ص273

[2] – الزمخشري (46هـ–538هـ، تفسير الكشاف ، تح خليل مأمون شيحا، دار المعرفة ،بيروت ،ط3،2009،ص638

		و القوة الإنجازية الثانية هي : التخويف بسوء العاقبة دون التصريح بالعقاب الاحق به تأدبا مع والده[1]
﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ اَنتَ عَنَاٰلِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾	**46**	التعجب و الإنكار
الإسفهام: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰم وَكَانَتِ اِمْرَأَتِي عَاقِرا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ اَلْكِبَرِ عُتِيّا ﴾	**07**	**(أنّى)** أي بمعنى "كيف" ، نلاحظ فعلين غير مباشرين ؛ الفعل الأوّل قوته الإنجازية : التعجب (لكبره ، وعقر زوجته) ،الفعل الثاني قوته الإنجازية الشكر والفرحة الشّديدة بالبشرى [2]
﴿قَالَتَ اَنّىٰ يَكُونُ لِيغُلَٰم وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَر وَلَمَ اَكُ بَغِيّا ﴾	**20**	الدهشة و الاستغراب (لعدم المسيس، ولطاهرتها و عفّتها) [3]
﴿فَأَشَارَتِ اِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِياٰلْمَهْدِ صَبِيّا ﴾	**29**	التعجب و القوة الإنجازية الثانية هي "افحام مريم عليها السلام حسب ما كان يلوح لهم"[4]

[1] – المرجع السابق، ص 638

[2] – **ينظر**: ابن عاشور، تفسير التحرير والتّنوير ،ج16 ، الدار التونسية للنشر ،1984،ص70

[3] – المرجع السابق ، ص270

[4] – عبد العظيم المطعنى ،التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم،ج2، ص 272

﴿إِذْقَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾	**42**	"لم"أصلها "ما" قوته الانجازية : الانكار ونفي السبب، و قوة أخرى للاستفهام هنا هي كناية عن التعجيز [1]
﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ اَنتَ عَنَ اٰلِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾	**46**	قوته الانجازية هي :الانكار والتّعجب
﴿ رَّبُّ اُلسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦهَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾	**65**	النفي ؛ أي نفي تسمية الله عن أي شيء ، و جاء مع الفعل المضارغ ليعم النفي جميع الأزمان[2]
﴿ وَيَقُولُ اُلِانسَٰنُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ، اَوَلَا يَذْكُرُ اُلِانسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُوَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾	**66** **67**	القوة النجازية للاستفهام الأول "**بالهمزة**" هي :انكار ساخر للحياة بعد الموت، وأما للاستفهام الثاني انكار توبيخي لهذا الانكار، و قوة إنجازية ثالثة وهي : الحث على التّذكر و دحض دعوى الخصم .[3]

[1] – ابن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ،ج16، ص 114

[2] – المرجع نفسه ، ص277

[3] – المرجع نفسه ، ص281

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾	**73**	"**أيّ**"استفهام تقريريلعقد مفاضلة فالفضل عند الكافر هو المقام الحسن و العيش الرغد ،رغم كفره و اجحاده بآيات الله عز و جل[1]
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾	**98**	استفهام مجازي ، قوته الإنجازية نفي الإحساس المستفهم عنهم(من أحد)استغراق جميع الأفراد الذين أهلكهم الله عز و جل ، و القوة الإنجازية الثانية "وعد" الله لرسول صلى الله عليه و سلم بالنتقام من خصوم الدعوة ، و القوة الإنجازية الثالثة هي "وعيد"للكفرة بنفس مصير أسلافهم الكفرة :[2]

واختلف بعض من علماء التفسير في تحديد نوع الاستفهام المجازي في هذه الآية الكريمة رقم (98) من سورة مريم، فابن عاشور قال: أنّه استفهام إنكاري :"والاستفهام في قوله تعالى ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ إنكاري، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم"[3]

[1]– ينظر: الزمخشري ، الكشاف ،ص645

[2]– عبد العظيم المطعنى ،التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم،ج2 ص 296،ص 292

[3]– ابن عاشور ، التحرير و التّنوير ، ص178

والإمام الألوسي قال: "الاستفهام في هذه الآية استفهام مجازي غرضه النفي، وقد أورد عبد العظيم المطعنى في كتابه هذا الاختلاف بقوله: أن الإنكار يخاطب به من يدّعي الإثبات، أو يقترف عملا محظورا، والنّفي يقرر الحقيقة من حيث هي دون أن يكون في اعتبار أن للمخاطب موقف منها يخالف ما يقوله المتكلم، والمخاطب قس هذه الآية الكريمة هو، صاحب الرّسالة محمد صلى الله عليه وسلّم، ومحال أن يكون في ذهنه خلاف ما يدل عليه الاستفهام، وعبارة الإمام الآلوسي أصوب من عبارة الإمام الطّاهر"[1].

والملاحظ من توظيف الاستفهام المجازي في هذه السورة الكريمة أنه يتعدى القوة الإنجازية الواحدة إلى اثنين وثلاث، فنجد للاستفهام الواحد عدة أفعال غير مباشرة تفهم من سياق المعنى. وتؤدي أساليب الاستفهام معانٍ عدّة خاضعة لمقامات استعمالاتها، مثقلة بالدّلالات، محققة تلوين كلامي تجذب السامع وتشده، وتشغل ذهنه بالبحث عن القصد، والغرض النفسي لهذه الأساليب .[2]

وأما عن الأمر فأغلبية أفعاله الإنجازية كانت للدعاء، والاسترحام .

4. القوة الإنجازية للطباق في سورة مريم :

عمّ الطّباق معظم آيات سورة مريم؛ فكان بين اسم واسم، وفعل وفعل، وحرف وحرف، وبين ضمير وضمير، فهو محسن بديعي معنوي يسهم في تقوية المعنى وتوضيحه ، وهذا المتعارف

[1]– المرجع السابق ، ص 296

[2]– ينظر: أحمد بن عجمية ،الجملة الاستفهامية (الأدوات الوظيفية و الدلالية)، ص25

عنه، ومن جهة أخرى له دلالات تتجاوز التوضيح الدلالي، إلى التداولي عبر قوى إنجازية لأفعال غير مباشرة .

أ–طباق بين اسم و اسم :

ففي قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾[1]

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾[2]

الطباق بين فاصلة الآية الأولى "عصيّاً"، والثانية "وليّاً"، فالعصيان والولاء متضادان لا يجتمعان في قلب رجل مؤمن بالله، والقوة الإنجازية أو الفعل غير المباشر للطباق ها هنا يكمن في استمرارية التحذير والتّرهيب .[3]

ب–طباق بين فعل و فعل:

في قوله تعالى :

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عُتِيّٗا ﴾

[1]–سورة مريم ، الآية 44

[2]–سورة مريم ، الآية 45

[3]–بتصرف :فيصل حسين طحيمر غوادره، المستوى البلاغي في سورة مريم ،مجلة الجامعة الإسلامية البحوث الإنسانية ، العدد1،2009، ص ص 7–

هنا الجمع بين زمنين؛ زمن المضارع، "يكون "، وزمن الماضي"كان" القوة الانجازية للطباق المفهوم من المعنى والسياق، هي أن الماضي يصور الجانب المظلم و المؤلم في حياة زكرياء عليه السلام ؛ الزوجة عاقر، والضعف، والوهن، والكبر .

والقوة الإنجازية للفعل المضارع هي: تجلي البشرى والأمل والفرحة بخبر حمل زوجته [1].

فلهذا دلالة الطباق هاهنا لا تتوقف عند حدود المعنى للفظ فقط ، بل تتعداه إلى معاني تحملها أفعال لغوية غير مباشرة تفهم من السياق حسن النظر .

و السورة الكريمة غنية بمعاني التقابلات ، نحو المقابلة بين معاني الهبة و الزيادة التي خصها الله عز وجل بالمؤمنين، ومعاني الأخذ والسلب التي خصبها عز وجل الكافرين[2]؛ في قوله تعالى﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ﴾[3]، ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً ﴾[4]، ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً﴾[5]وقوله تعالى:﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً ﴾[6] ، ﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً ﴾[7]

وكما سبق وأن ذكرنا فإننا استعنا بكتب التفسير للوصل للمعاني الثواني أو القوى الإنجازية لإي السورة الكريمة، وما كنا لنسلك هذا الطريق دون الرجوع إلى مفسري القرآن الكريم .

---

[1]– ، ينظر : المرجع السابق، ص 8

[2]– ينظر : معين رفيق أحمد صالح ، دراسة أسلوبية في سورة مريم ،ص 95

[3]–سورة مريم ، الآية ،12

[4]–سورة مريم ، الآية،49

[5]– سورة مريم ، الآية ،76

[6]–سورة مريم ، الآية،80

[7]–سورة مريم ، الآية ،87

ونختم هذا الجزء من البحث بقول ابن جني "أنّ هذه اللغة أكثرها جار على المجاز، و قلّما يخرج الشّيء منها على الحقيقة ...و كان القوم الذين خوطبوا بها أعرف النّاس بسعة مذاهبها، وانتشار أنحائها، جرى خطابهم بها مجرى ما يألفونه ...و فهموا أغراض المخاطب لهم بها على حسب عرفهم، وعادتهم في استعمالها "[1]

ويشرح معنى العرف بتفسير لقول الله تعالى وتحليله قال الله تعالى : ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدينا﴾[2]

"إن شئت قلت : لمّا كان العرف أنْ يكون أكثر الأعمال باليد جرى هذا المجراه ... وإن شئت قلت : الأيدي هنا جمع اليد التي هي القوّة ، أي القوة التي أعطيناها الأشياء "[3].

ونلاحظ أن مظاهر النظرية التّداولية متجلية في دراسات النحويين القدامى، فقد اهتموا بالتركيب من حيث المبنى والمعنى الأولي والمعاني الأخرى الكامنة في التركيب، مما يصطلح عليه تداوليا الفعل اللغوي غير المباشر، أو القوة الإنجازية للفعل.

[1]– أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، الجزء الثالث ، تح : محمد علي النجار ،المكتبة العلمية ، د ت، ص247

[2]–سورة يس ، الآية 71

[3]– المرجع السابق ،ص

خاتمة

تكلّم لتغيير الواقع إلى الأفضل، وفكرتك مهما كانت جيّدة، فلا تنفعني إن لم تنتج عملا حسناً في الواقع، فلا يهمنّي ولا يهم العالم ما يثيره ذهنك من أفكار جذّابة حبيسة الفكر، وأن تحرّرت فلا تعدو أن تكون وصفا لحقائق الموجودات، وإنّما ما ينفعني وينفع العالم، العمل الذي تنتجه هذه الفكرة الجيدة في الواقع، والتّغيّرات الحسنة التي تكون فعلا في الدنيا المحيطة بنا؛ إنّه وليم جيمس إنها فكرته التي تأسست عليها النظرية التداولية التي ترعرعت في كنف الفلسفة التحليلية، وفلسفة اللغة العادية، فالتقت التداولية مع المذهب الفلسفي في فكرة العمل اللغوي وأهمية العقيدة على حد تعبير فلاسفة اللغة وهي الفكرة الصالحة المنجزة في الواقع، وأن نفهم العالم علينا أن نفهم منطق لغتنا مبدأ آخر لفلاسفة اللغة، الذي اعتنى بالظاهرة اللغوية وراح ينهل من كل العلوم المعرفية التي لها علاقة باللغة؛ كالفلسفة، وفلسفة اللغة، والمنطق، واللسانيات، وعلم الاجتماع اللغوي ، وعلم النفس اللغوي وغيرها من العلوم، وهذا لاحتواء الظّاهرة اللّغوية ودراستها دراسة دقيقة في الاستعمال ، لكن هذا التّقاطع المعرفي أدّى إلى ضبابية المصطلح وعدم الاتّفاق على وضع مصطلح جامع مانع لمفهوم التّداولية بين الباحثين المتخصّصين في هذا المجال، واتّفق أغلبيتهم على المصطلح المترجم التّداولية Pragmatics باللغة الإنجليزية وباللغة الفرنسية Pragmatique، أوّلهم طه عبد الرّحمن، ويوسف أبو العدوس لكنّه عاد إلى الكلمة المعرّبة البراجماتية، وتفرّعت منها عدّة نظريّات أشهرها نظرية الأعمال اللغوية أو نظرية الأفعال اللغوية، أو نظرية الفعل اللّغوي Les actes de parole والتي تدرس اللّغة في الاستعمال مُهْتَمة بطرق بلوغ قصد المتكلّم، مراعية في ذلك

مستويات اللغة؛ المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي، فتتجاوز دراسة المعنى الدلالي للجملة، وهو المعنى الحرفي للتركيب إلى المعنى المطلق والذي تتداخل في تشكيله عناصر لسانية وغير لسانية مرتكزة في ذلك على عنصر مهم في العملية التواصلية وهو السّياق وبالمفهوم البلاغي المقام، فقسّم روّاد هذه النظرية الفعل اللغوي إلى ثلاثة أقسام ؛ فعل القول ويتضمن المستويات اللغوية المذكورة، والفعل الإنجازي وهو الجانب المهم في النّظرية والذي ركّز عليه سورل، لأنّه يتصل بالجانب المقامي للتركيب اللغوي، وينقسم بدوره إلى قسمين هما عمدة النظرية؛ الفعل المباشر، والفعل غير المباشر أي المعنى الحرفي، والمعنى غير الحرفي، وأخيرا فعل التّأثير، ونضيف الفعل الصّرفي، لأن التّنويع في استعمالات الصيغ الصرفية يخضع لأغراض نفسية متعلقة بالمتكلم فكل زيادة في المعنى زيادة في المبنى، ونحن نتتبّع ونرصد البعد التداولي في الدّراسات اللغوية العربية القديمة خلصنا إلى جملة من الملاحظات وهي كالآتي:

-الاعتناء بالاستعمال اللغوي أثناء العملية التواصلية كان من اهتمامات القدامى في تراثنا اللغوي، وهذا واضح في دراستهم للظاهرة اللغوية انطلاقا من عناصر لسانية وغير لسانية ما يدخل تجت اصطلاح المقام .

- البعد التداولي ينهض على جملة من الاستنتاجات التي تربط ما يقال بما يفترض أن يكون في المعنى هذه الاستنتاجات تخضع لعنصر السياق، لمعرفة قصد المتكلم.

– اللّغويون القدامى اهتموا بمعرفة أحوال المتكلم والسامع وكل الظروف والملابسات التي تحيط بالخطاب للوصول إلى قصد المتكلم.

–يرفض أوستين أن تخضع كل الجمل الخبرية الوصفية لمعيار الصدق والكذب، وأنّ الجمل الإنشائية لا معنى لها عند فلاسفة اللغة الوضعيين، ومن هذه الجمل – الخبرية– ما لا يخضع لمعيار الصدق والكذب فمنها ما ينجز؛ أي جمل إنجازية، مثل أفعال العقود والمعاملات بشكل عام.

– في التّراث العربي اللّغوي الجملة الخبرية هي التي تخضع لمعيار الصدق والكذب،

وفرّقوا بين جملة خبرية تخضع لهذا المعيار، وجملة خبرية لا تخضع لمعيار الصدق والكذب أوّلها جملة خبرية تحمل حقائق ثابتة؛ كالحقائق العلمية الثابتة مثلما أشار إليها الجاحظ، وثانيها جمل خبرية إيقاعية تندرج ضمن أفعال البيع والعقود والزواج، والميراث، فالمتكلّم لا يرجو منها الإخبار بل ينجز معاملات في الواقع .

– قسم روّاد نظرية الفعل الكلامي الإنشاء إلى قسمين ؛

إنشاء أولي أو إنشاء غير حرفي له قوة إنجازية مستلزمة ؛ فهو فعل لغوي غير مباشر يخضع لمستلزمات مقامية، مثل التعظيم، والتحقير، والتحفيز، والنصح ..و غيرها

إنشاء ثانوي أو إنشاء حرفي أي فعل لغوي مباشر .

–نظرية الخبر والإنشاء في التّراث اللّغوي العربي والتي عُرفت عند اللّغويين القدامى بأقسام الكلام ؛ فمنهم من قسّمها إلى ثلاثة أقسام : (خبر، و طلب، و إنشاء) و منهم من قسّمها إلى

قسمين (إنشاء، وخبر) وأدرج الطلب في الإنشاء والمُلفت للنظر أنّهم أطلقوا كلمة الإنشاء على اقتران حدوث الفعل مع التّلفظ بالفعل فهذا إنشاء أي عمل لغوي منجز على حد تعبير أوستين وسوورل، أما كلمة الطلب فهي أن يتأخّر حدوث الفعل عن عملية التّلفظ به، فإما أن يمتثل السامع فينجز العمل وإمّا أن يفشل الطلب، ما أطلق عليه روّاد نظرية أفعال الكلام (النجاح والإخفاق)

– مصطلح الإنشاء لم يحظ بالاعتناء عند الكثير من علماء التّراث اللغوي القديم، مثل، عبد القادر الجرجاني، والسّكاكي فوظّفوا في دراساتهم مصطلح الطلب .

–كان للغويين العرب القدامى السّبق في التّمثيل للمعاني المقامية الثّواني التي تخرج عن أصل الوضع في نظرية عبد القاهر الجرجاني (معنى المعنى) مثلا، والسّكاكي في كيفية انتقال المتكلّم من المعنى الأولي إلى المعاني الثّواني.

وأما عن محاولة تطبيق إجراءات نظرية أفعال الكلام التي اخترت منها الفعل الكلامي بأقسامه والتركيز على الفعل المباشر وغير المباشر للفعل الإنجازي لترصّد القوّة الإنجازية العادية والقوّة الإنجازية المعقّدة(ما أضافه سورل) في المدّونة (سورة مريم)خلصت إلى ما يأتي:

- ✓ علماء التّفسير كان لهم السبق في عرض كل ما يخرج عن التّركيب اللّغوي .
- ✓ خروج الأسلوب الإنشائي بصيغه المتنوعة في السّورة الكريمة عن غرضه الحقيقي، ما يصطلح عليه في نظرية أفعلا الكلام، بالإنشاء الأولي أي غير الحرفي .

- ✓ يتعّدد الفعل الإنجازي المعقّد في سورة مريم ونقصد به ما وراء المعنى الأولي، معنى المعنى .
- ✓تبين أن للمستويين، الصوتي والصرفي، أبعاده التداولية في السورة الكريمة، أفعال غير مباشرة مثقلة بقوى إنجازية .
- ✓إن للصوت العربي "الحرف" وقعاً مميزً في القرآن الكريم، وهذا ما لاحظناه في فاصلة آيات السورة الكريمة فكل فاصلة تتنوع بتنوع سياقات توظيفها.
- ✓الأساليب الإنشائية كالاستفهام و النداء تحمل أكثر من فعل غير المباشر .
- ✓للطباق قوى إنجازية تتجاوز المعنى المعجمي للكلمة .
- ✓إنّ دراسة الظاهرة اللغوية يتطلّب الإلمام بكفاياتها، الكفاية النّحوية، والكفاية الدلالية، والكفاية الصّرفية، ونضيف الكفاية التّداولية، والتي تعتبر بمثابة خيط الغزل الرّئيس في النّسيج؛ فالبعد التّداولي يعتني بالظاهرة اللغوية من نحوها ودلالتها وصوتها وصرفها لبلوغ مقاصد المتكلم في المنطوق والمكتوب، في الكلام المباشر وغير المباشر.
- ✓و يبقى مجال البحث العلمي في النّظرية التّداولية قائما، ولا يخفى على المتخصّص في البحث اللّساني صعوبة ضبط مفاهيمها لتشعّب روافدها لذا وصفتها بالنّظرية الموسوعية إلى أن تتحدّد معالمها و تتضح للباحث العربي.
- ✓إنّه من مسؤوليتنا الاعتناء باللغة العربية لغة القرآن الكريم بمعرفة نحوها، وصرفها، ودلالتها، وتعدد استعمالاتها فهذا فرض كفاية، لأن هذه العلوم هي آليات التحليل اللغوي، فمعرفة الأدّلة

والأحكام ومعاني القرآن الكريم الظاهرة والباطنة، تتوقف على كفاياتنا اللّغوية، وقد أثنى الله عز وجلّ على هذه اللّغة التي نفخر ونعتز بها في كتابه الكريم بقوله:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:02]

والسّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

الملحق

سورة مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كهيعص ﴿1﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿2﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿3﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿4﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿5﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿6﴾ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿7﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿8﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿9﴾قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿10﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿11﴾ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿12﴾ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿13﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿14﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿15﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿16﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿17﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿18﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿19﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿20﴾ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿21﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿22﴾

فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴿23﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿24﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿25﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿26﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿27﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿28﴾فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿29﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿30﴾وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿31﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿32﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿33﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿34﴾مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿35﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿36﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿37﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿38﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿39﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿40﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿41﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿42﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿43﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿44﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿45﴾ قَالَ

أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿46﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿47﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿48﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿49﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿50﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿51﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿52﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿53﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿54﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿55﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿56﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿57﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿58﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿59﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿60﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿61﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿62﴾تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿63﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿64﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿65﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿66﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿67﴾ فَوَرَبِّكَ

لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿68﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿69﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا ﴿70﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿71﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿72﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿73﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴿74﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُالرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿75﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿76﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿77﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿78﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿79﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿80﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿81﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿82﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿83﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿84﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿85﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿86﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿87﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿88﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿89﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿90﴾أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿91﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿92﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿93﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿94﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿95﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴿96﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿79﴾

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴿98﴾

صدق الله العظيم

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع ، الدّار القيمة ، سوريا ، ط1440،2ه/2019

1) إبراهيم أنيس، أسرار العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ، ط1 ،1966.

2) ابن عاشور ، تفسير التحرير و التّنوير ،ج16 ، الدار التونسية للنشر ،1984

3) ابن منظور ، لسان العرب ، تح : عبد الله علي الكبير ،دار المعارف ،القاهرة ،د–ط ، د–ت

4) ابن هشام النّحوي، شرح شذور الذّهب في معرفة كلام العرب، تد محمد أبو فضل عاشور، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط 1 ،2001.

5) أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، الجزء الثالث ، تح : محمد علي النجار ،المكتبة العلمية ، د ت،

6) أبي إسحاق إبراهيم الزجاجي ، تع عرفان بن سليم ، المكتبة العصرية – صيدا– بيروت ، ط1 ،2006

7) أحمد بن عجمية ،الجملة الاستفهامية (الأدوات الوظيفية و الدلالية)،ألفا للوثائق ،عمان ،ط1 ،2020

8) أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات– ديوان المطبوعات الجامعية، ط2 ،2009.

9) أحمد عبد الحليم عطيّة الفلسفة التحليلية –ماهيتها، مصادرها،ومفكروها، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية،ط1، بيروت لبنان، 2019.

10) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب (مع دراسة لقضية التأثير والتأثر)، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988.

11) أيمن على عبد اللطيف أبو زيد، عبقرية النثر العربي– دراسة لغوية تحليلية في كتاب الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي في ضوء علم اللغة الحديث، العلم والإيمان للنشر، ط1 ، 2008.

12) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، ط2006،1.

13) بشرى البستاني، التّداولية في البحث اللغوي والنّقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012.

14) التواتي بن التواتي ، محاضرات في أصول النّحو ، دار الوعي للنشر و التوزيع ، الجزائر ،ط2012،2

15) **جلال الدين السّيوطي** تناسق الدّرر في تناسب السّور، تح عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1، 1986.

16) **جلال الدين السّيوطي** مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ، تح عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر ،مكتبة دار المنهاج ، ط1، 1099،الرّياض.

17) **جلال الدين السّيوطي** همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ،1998.

18) جمال الدين ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تد صالح عبد العظيم الشّاعر، مكتبة الآداب القاهرة ،ط 1 ،2009.

19) **جميل حمداوي**:التّداوليات بين النّظرية والتّطبيق، دار الريف للطبع والنشر، المملكة مغربية، ط 1، 2019.

20) **جميل حمداوي**،الاتجاهات السيميوطيقية(التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة

21) الجيلالي دلاّش،مدخل إلى اللّسانيات التّداولية ،تر محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية ،دت، دط.

22) حاج علي عبد القادر، المفاهيم الصوتية في تهذيب اللغة –في ضوء الدرس الصوتي الحديث–دار الكتب الحديث، القاهرة ، ط1، 2014.

23) حاشية أحمد الصاوي المالكي على تفسير الجلالين ،ج3، المطبعة الأزهرية لمصر ط1926،1.

24) حافظ إسماعلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2011 .

25) حمدي بخيت عمران، أثر اللغة في الاستنباطات الشرعية، مكتبة الكويت، الكويت، 2011.

26) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، محاولة تأصيلية مع الدرس اللغوي القديم، بيت الحكمة للنشر و التوزيع ، ط1 ، 2009.

27) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح محمد سيّد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د ط، دت.

28) الزمخشري (46هـ-538هـ، تفسير الكشاف، تح خليل مأمون شيحا، دار المعرفة ،بيروت ،ط،2009

29) سعود بن عبد الله الزدجالي، التركيب الشرطي في النّحو والأصول (مقاربة دلالية في المفهوم والقضايا النحوية والدلالية والأثر الفقهي)،دار الفرابي، بيروت لبنان ، ط1، 2008.

30) سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط3، 1988.

31) سيّد إبراهيم سيد ناصر ،سورة مريم دراسة لغوية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرّمة، ج1 ، 1989.

32) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، تح الشيخ أحمد جاد، دار الغد الجديد ، القاهرة ، ط1،2016 .

33) سيد قطب،في ظلال القرآن، المجلد 1 ،ج1-ج4 ،دار الشروق ، القاهرة ، ط1 ،1972.

34) شكري مبخوت، نظرية الأعمال اللغوية، ميسكلياني للنشر والتوزيع، ط 1، 2008.

35) صابر حباشة، لسانيات الخطاب–الأسلوبية والتّلفظ والتّداولية–دار الحوار للنشر والتّوزيع، سورية ،ط1، 2010.

36) طه عبد الرّحمن ، تجديد المنهج في تقويم التّراث، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، ط 2، د س.

37) عامر خليل الجراح، الإجراءات التداولية التأثيرية في التراث البلاغي العربي بين التأويل والحجاج ، دار سنابل ، تركيا ،ط2019،1.

38) العايد صالح بن حسين، نظرات لغوية في القرآن الكريم ، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط2 2004.

39) عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة)، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، 2007.

40) عبد الحميد السيّد، دراسات في اللسانيات العربية –بنية الجملة العربية، التراكيب النحوية و التداولية ، علم النحو و علم المعاني، دار الحامد، عمان،2003.

41) عبد السلام هارون،الأساليب الإنشائية في النحو العربي ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ط5، 2001

42) عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، على جراح الصباح، ط2 1978.

43) عبد العظيم المطعنى، التفسير البلاغي للاستنفهام في القرآن الحكيم،ج2، مكتبة وهبة القاهرة ط3 ،2011

44) عبد القادر حسن، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، 1998.

45) عبد القاهر الجرجاني، المفتاح في الصرف، تح علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت ،ط 1 ، 1987 .

46) **عبد القاهر الجرجاني**، العمد-كتاب في التصريف- تح البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة ، ط 2 ،1995 .

47) عبد المنعم كامل شعير ، الإعجاز القرآني في الرسم العثماني ، المكتبة التمهيدية ، د.ط،د.ت،

48) عبده الرّاجحي، التطبيق النّحوي، دار المسيرة، عمان، ط 1، 2008.

49) علي الجارم ، البلاغة الواضحة ، دار التوقيفية ،القاهرة ،ط 3،2015

50) عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدّمشقي ،تفسير القرآن العظيم ، تع هاني الحاج ، دار التوفيقية للطباعة ، مصر ، ط 11،2013 .

51) غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية -دراسة في أصوات المد العربية-، دائرة الشؤون الثقافية و النشر . العراق ،1974 ،دط.

52) **فاضل صالح السّامرّائي** ،التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، دار ابن كثير، دمشق ط1، 2016.

53) **فاضل صالح السّامرّائي**، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2000.

54) محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن ،دار المؤرخ العربي ،بيروت لبنان ط2000،1.

55) محمد متولي الشعراوي، مريم والمسيح ،مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، دط، 1982.

56) **محمد محمد يونس علي**:المعنى وظلال المعنى –أنظمة الدلالة في العربية–دار المدار الإسلامي ،بيروت ،ط2 2007.

57) **محمد محمد يونس علي**:مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان، ط2004،1 .

58) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002.

59) مسعود صحراوي، التّداولية عند العلماء العرب –دراسة تداولية في ظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي–، دار الطّليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 2005.

60) معاذ بن سليمان الدّخيل، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية "مقاربة تداولية"، نادي القصيم الأدبي، دار محمد علي للنشر، ط1، 2014.

61) معين رفيق أحمد صالح ،دراسة أسلوبية في سورة مريم ،أطروحة دكتوراه ، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين ،2003.

62) ميلود منصوري، دلالات التّراكيب في نحو الجملة، دار أم الكتاب ، مستغانم، ط1، 2013.

63) ناصر الدين أبي سعيد البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التّأويل ج4، بهامشه أبي الفضل القريشي الكازروني، مؤسسة شعبان ، بيروت ، دط، دن.

64) نعمة دهش فرحان الطائي، الملمح التداولي في النحو العربي (تحليل و استنتاج)، مجلة العميد، العدد الثامن، كانون الأول 2013.

65) يوسف سليمان علیان، البعد التداولي عند الأصوليين، "ابن قيم الجوزية في كتابه "بدائع الفوائد" أنموذجا".

ب-المراجع المترجمة:

1) آن روبول، جاك موشلار، التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل ، تر: سيف الدين دعفوس، محمد الشيباني ،دار الطّليعة للطباعة والنّشر، لبنان، ط1، 2003.

2) أندريه مارتنيه، وظيفة الألسن و ديناميتها، تر نادر سراج ،المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط2009،1.

3) جاك موشلر–آن ريبول، القاموس الموسوعي للتدّاولية، تر: عز الدين مجدوب، محمد السيباني، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس،2010.

4) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التّداولية، تر: سعيد علوش، مكتبة الأسد، د ط ، 1986.

5) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر حباشة ، دار الحوار للنشر والتّوزيع ، سوريا ،ط 1 ،2007 .

ج–المجلات العلمية:

6) عبد الرحمان بن رجاء الله الجامعي السلمي، التناسق الصوتي في القرآن الكريم –سورة مريم أنموذجا–مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية ، العدد السابع ،1435هـ.

7) عزة عدنان أحمد عزت ،المقطع الصوتي في سورة مريم –دراسة إحصائية دلالية –مجلة جيل الدراسات الأدبية و الفكرية ،العراق ،العدد 2،فبراير 2015.

8) عيد بلبع، القرآن الكريم والتّطبيق التّداولي، مجلة سياقات، العدد السابع، ديسمبر 2017.

9) محمد سالم سعد الله، النّقد التداولي من الحدث اللغوي إلى التواصل التقني، مجلة ديالي، الموصل، العدد الثامن والخمسون، 2013 .

10)نعمة ذهش الطائي، الملمح التداولي النحو العربي –تحليل واستنتاج– مجلة العميد، بغداد العدد الثامن ،2012.

فهرس الموضوعات

مقدمة.....ب

الفصل الأول: النّظريـة التّداوليـة 13

المبحث الأول: مفهوم التّداولية 14

المبحث الثاني :المرجعية الفكرية للنظرية التّداولية.....22

1.روّاد النّظرية التّداولية : 24

2.الفلسفة التّحليلية:.....34

3-مفهوم الوظائف التّداولية:.....37

الفصل الثاني : نظرية الأفعال الكلامية.....45

المبحث الأول : نظرية الأفعال الكلامية عند الغرب :.....47

1-**عند أوستين** (J.B.Austin+ 1911-1961) 47

2-نظرية أفعال الكلام عند سورل (John Sear l1932+):.....52

.1**الفعل المباشر**:.....53

2.**الفعل غير المباشر**: 55

3-عند بول غرايس:(Heret Paul Grice،1913-1988): 60

المبحث الثاني: نظرية الأفعال اللغوية عند العرب 62

1-الجذور المعرفية لنظرية أفعال الكلام في التراث اللغوي العربي: 62

2- نظرية أفعال الكلام وعلم الأصول: 65

3 - علم الأصول: 72

4-التداولية والتراكيب النحوية: 79

أ.الجملة العربية وأقسامها: 82

الفصل الثالث: البعد التّداولي في سورة مريم 96

المبحث الأول: سورة مريم 101

1-التعريف بسورة مريم : 101

2-سبب النزول: 102

3- موضوعات سورة مريم عليها السلام: 108

4- مادّة السورة هي: القَصَصَ ؛ 108

المبحث الثاني: الأبعاد التداولية في سورة مريم 110

1-البعد التداولي للمستوى الصوتي لسورة مريم : 110

2- البعد التداولي للمستوى الصرفي: 119

3-البعد التداولي للمستوى الدلالي في السورة: 124

المبحث الثالث : الأفعال الكلامية في سورة مريم 130

1.تصنيف أوستين للفعل الكلامي : 135

.2القوة الانجازية في سورة مريم 135

3.الفعل المباشر وغير المباشر : 138

4.**القوة الإنجازية للطباق في سورة مريم :** 146

خاتمة 150

الملحق 157

قائمة المصادر والمراجع 295

فهرس الموضوعات 304

ملخص الأطروحة

الملخص بالعربية:

انطلقت الدّراسات النّحوية والبلاغية منذ القرن الثّاني الهجري لغايات دينية؛ لحفظ القرآن الكريم من لحن الأعاجم ولتدبّر معانيه فعكفت نخبة من علماء اللغة لوضع اللّبنة الأولى للدراسات اللغوية العربية، فأسس العلماء العرب والمسلمون دعائم النّحو العربي وهذا لقدرتهم على تجريد المفاهيم، واستنباط الأسس والقواعد، حتى وصلوا إلى التّصنيف والتّبويب.

وباتت مصنّفاتهم المنهل الأصل الذّي ارتوت منه الدّراسات النحوية والبلاغية الحديثة مستعينين بالدّراسات اللّسانية الحديثة لشرح وتذليل الصعوبات ليتمكن المتعلم العربي وغير العربي من استيعاب قواعد وفنون اللغة العربية فكانت اللسانيات معين على اكتشاف وتقصّي بنى الظواهر اللّغوية في نصوص القدماء، دون أن ننسى اجتهادات المدارس اللسانية، التي درست اللّغة وفق سياقاتها الوظيفية كالنظرية التّداولية التي درست اللّغة دراسة وظيفية تواصلية وركّزت على الجانب الاستعمالي للغة واعتنت بعلاقة اللغة بمستعمليها وسياق الاستعمال، والجانب اللفظي وغير اللفظي، وركّزت على مقاصد المتكلّم، من خلال التركيز على مستويات اللغة؛ المستوى النحوي، والمستوى الدلالي، وسياق المقام وبحثت في العلاقة الكامنة بين هذه المستويات وهذا كلّه أجل بلوغ مقاصد المتكلم، كما حاولت تقديم منهجية علمية يستعين بها السامع لفهم معنى كلام المخاطب وتجلى هذا في نظرية أفعال الكلام، مستعينة بالحقول المعرفية المتنوّعة التي لها علاقة باللّغة، كالفلسفة، وفلسفة اللّغة العادية، والمنطق، وعلم الاجتماع، وعلم الاجتماع اللّغوي، وعلم النّفس اللّغوي، واللّسانيات ...وغيرها،

فمن خلال هذه الدراسة أحاول تتبع البعد التّداولي في التراكيب النحوية، واكتشاف الفعل اللغوي المباشر والفعل اللغوي غير المباشر في آيات سورة مريم .

فهل ممكن للباحث اللساني أن يستفيد من إجراءات هذه النظرية من خلال تطبيقها على النص المقدس القرآن الكريم ؟

Les fonctions pragmatiques des structures grammaticales du Saint Coran
- La sourate Maryam (Marie) comme étude de cas-

Les premières études grammaticales et rhétoriques datent du deuxième siècle de l'hégire et sont apparues pour des raisons religieuses ; pour protéger le Saint Coran des erreurs commises par les étrangers et pour contempler ses significations. À ce égard, un groupe de linguistes a posé la première pierre des études linguistiques arabes en établissant les fondements de la grammaire arabe grâce à leur capacité d'abstraction des concepts et d'extraction des règles.Par la suite, ils ont réussi à proposer des méthodes de classification appropriées qui se sont avérées être la source des études grammaticales et rhétoriques modernes, tout en s'appuyant sur les études linguistiques modernes pour expliquer et surmonter les difficultés linguistiques et permettre aux apprenants arabes et non arabes de comprendre les règles régissant la langue arabe. La linguistique a été un outil précieux qui aide à étudier les structures linguistiques des textes anciens, en plus des efforts déployés par les écoles linguistiques de jurisprudence qui ont étudié la langue dans ses contextes fonctionnels et ont donné naissance à la théorie pragmatique.Cette dernière vise à étudier la langue en tant que moyen fonctionnel et communicatif et se concentre sur le côté utile de la langue et met en lumière la relation de la langue avec les utilisateurs et le contexte d'utilisation ainsi que le côté verbal et non-verbal de celle-ci. La pragmatique se concentre également sur les intentions du locuteur en étudiant les différents niveaux du langage : le niveau grammatical et le niveau sémantique, le contexte et la relation sous-jacente entre eux, afin de comprendre les intentions du locuteur.Par ailleurs, la pragmatique s'intéresse à la proposition d'une méthodologie scientifique pouvant être utilisée par l'auditeur pour comprendre les énoncés du locuteur, ce qui s'est finalement manifesté par l'émergence de la théorie des actes de langage. Cette dernière s'appuie sur différents domaines de connaissance liés au langage, tels que la philosophie, la logique, la sociologie, la sociolinguistique et la linguistique. De ce fait, cette recherche tente de retracer la dimension pragmatique des structures grammaticales et d'enquêter sur les actes linguistiques directs et indirects trouvés dans la sourate Maryam (Marie).
À ce propos, le chercheur en linguistique peut-il tirer profit des procédures de la théorie pragmatique en les appliquant au Noble Coran ?

The Pragmatic Functions of the Holy Qur'an Grammatical Structures

-Surat Maryam as a Case Study-

Abstract

The first Grammatical and rhetorical studied dated back to the second century AH emerged for religious reasons; to protect the Noble Qur'an from the error scommitted by the foreigners and to contemplate it smeanings. Consequently, a group of linguists put the first building block of Arabic linguistics tudies through the establishment of the foundations of Arabic grammar thanks to their rabidity to abstract concepts and extract rules. Afterwards, they succeeded in proposing proper classification method statured to be the source of modern grammatical and rhetorical studies, while relyingon modern linguistic studies to explain and overcome the linguistic difficulties and enable the Arab and non-Arab learner thunderstone the rules governing Arabic language. Linguistics has been a valuable tool that helps investigating the linguistic structures of the ancient texts in addition to the efforts made by jurisprudence linguistic schools that's tidied language in its functional contexts and to the pragmatic theory.

This latter aims at studying language as a functional and communicative means and focuses on the useful side of the language and sheds light on the relationship of language with users and context of use as well as the verbal and non-verbal side of it. Pragmatic salesforces on the speaker's intentions by studying the different levels of language; the grammatical and the semantic level, the context, and the in order to understand the speaker's intentions.

Besides, pragmatic sisinterested in proposing a scientific methodology that can beused by the listener to understand the speaker's utterances; that was, eventually, manifested in the emergence of the speech acts theory. This latter relies on different fields of knowledge related to language, such as philosophy, the

philosophy, logic, sociology, sociolinguistics, and linguistics. Hence, this research study tries to trace back the pragmatic dimension of the grammatical structures and investigate the direct and indirect linguistic acts foundin Surat Maryam.

Can the linguistic researcher take advantage of thistheoryprocedures by applying it on the Noble Qur'an?